

العدد ٩٨٦ - الاثنين ٢٥ ربيع الأول ١٤٤٠هـ - الموافق ٣/١٢/ ٢٠١٨م

مكافحة الجوع في الإسلام

الكويت استضافت مؤتمر (إنسانية واحدة ضد الجوع)

الإعجاز التشريعي في الميراث



بيان الأزهر... شهادة للتاريخ

أكدت مشيخة الأزهر في بيان أن «أحكام المواريث» في الإسلام «قطعية الثبوت والدلالة»، رافضا بذلك المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث.

وقال البيان: إنه «انطلاقًا من المسؤولية الدينية التي تحمّلها الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام بل تزيد إزاء قضايا الأمّتين العربية والإسلامية، وحرصًا على بيان الحقائق الشرعية ناصعة أمام جماهير المسلمين في العالم كله، فإن الأزهر الشريف بما يحمله من واجب بيان دين الله وحماية شريعته- فإنه لا يتوانى عن أداء دوره، ولا يتأخر عن واجب إظهار حكم الله للمسلمين في شتّى بقاع العالم الإسلامي، والتعريف به في النوازل والوقائع التي تمس حياتهم الأسرية والاجتماعية».

وتابع الأزهر أن «النصوصَ الشرعية منها ما يقبل الاجتهاد الصادر من أهل الاختصاص الدقيق في علوم الشريعة، ومنها ما لا يقبل، فالنصوص إذا كانت قطعية الثبوت والدلالة معًا فإنها لا تحتمل الاجتهاد، مثل آيات المواريث الواردة في القرآن الكريم، والنصوص الصريحة المنظمة لبعض أحكام الأسرة، فإنها أحكام ثابتة بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة بلا ريب، فلا مجال فيها لإعمال الاجتهاد».

وأكد أن «مثل هذه الأحكام لا تَقْبَلُ الخوضَ فيها بفكرة جامحة، أو أطروحة لا تستندُ إلى قواعد علم صحيحٍ وتصادم القطعي من القواعد والنصوص، وتستفزُ الجماهير المسلمة المُستمسكة بدينها، وتفتح الباب لضرب استقرار المجتمعات المسلمة».

وشدد على أن «رسالةَ الأزهر الشريف ولاسيما ما يتعلّق بحراسة دين الله هي رسالةٌ عالمية لا تَحدُها حُدُودٌ جُغرافية، ولا توجهاتٌ سياسية، وهذا ما ينتظرُه المسلمون من أزهرهم الشريف ولا يقبلون به بديلًا. حفظ الأزهر وأبقاه للعالمين الحافظ الأمين على دين الأمة وسلامتها من الفتن والشرور».

لا شك أن بيان الأزهر الشريف حول قضية الميراث والسعي للمساواة بين الذكر والأنثى فيه إنما هو شهادة للتاريخ ورد على دعوة منحرفة باطلة هدفها التعدي على أحكام الشريعة القطعية الثابتة والتشجيع على التجرؤ على الأحكام التي أنزلها الله -تعالى- على رسوله -ﷺ-، وبالتالي طمس معالم الدين الإسلامي!

ومع أن العلماء قد أوضحوا بأن أحكام الميراث في الإسلام قد فضلت المرأة على الرجل في أكثر من ٣٣ موضعا في الميراث أو مساواة بينهما، لكن الأهم هو أن يتصدى العلماء والدعاة إلى الله -تعالى- إلى كل من يتجرأ على دين الله ويسعى لتحريفه، مصداقا لقوله -تعالى-: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام:٣٨)، وقوله -تعالى-: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ (المائدة).



أخبار الجمعية

إحياء التراث (بيان ومشرف) أقامت دورة العلامة ابن عثيمين العلمية

أقامت جمعية إحياء التراث الإسلامي (بيان ومشرف) دورة (العلامة محمد بن صالح العثيمين العلمية)، التي تم من خلالها شرح (كتاب المحرر في الحديث – الجهاد والبيوع)، وألقاها الشيخ/د. عثمان الخميس؛ حيث استمرت الدورة من يوم الأحد ٢٥ نوفمبر حتى يوم الثلاثاء ٢٧من الشهر نفسه، وقد أقيمت في مسجد (خالد الياقوت) الكائن في منطقة (الصديق)، علماً بأنه تم تخصيص مكان للنساء لحضور هذه الدورة.

والجدير بالذكر أن إدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية (بيان ومشرف) تضم العديد من اللجان مثل لجنة المشاريع الخيرية، التي تقوم بإنشاء المشاريع الخيرية داخل الكويت وخارجها، سواء كانت مشاريع موسمية مثل مشروع (إفطار الصائم)، و(الأضاحي)، و (الحج)، أم مشاريع مستمرة طوال العام مثل بناء المساجد والمستشفيات وغيرها من المشاريع الإنشائية.

كما تضم لجنة الدعوة والإرشاد، التي تستهدف نشر الوعي الديني بين أفراد المنطقة، ورفع المستوى العلمي والثقافي عن طريق إقامة المحاضرات والأسابيع الثقافية، وتنظيم الدورات الشرعية، وطباعة الكتاب الإسلامي وتوزيعه مع الشريط على أهالي المنطقة.

تراث الجهراء افتتحت مخيمها الربيعي السابع والعشرين الخميس



افتتحت جمعية إحياء التراث الإسلامي فرع محافظة الجهراء مخيمها الربيعي في نسخته السابعة والعشرين الذي تنظمه لجنة الدعوة والإرشاد؛ حيث تستضيف طوال فترة المخيم الممتدة لأربعة أشهر ثلة من الدعاة والعلماء من خارج الكويت وداخلها وذلك في منطقة استراحة الحجاج بمحافظة الجهراء كل يوم خميس بعد صلاة العشاء.

وكانت المحاضرة الأولى في امخيم بعنوان (الانحراف الفكري.. الأسباب والعلاج) ألقاها الشيخ أ.د عبدالله بن محمد الطيار الأستاذ بكلية التربية بالزلفى.

وأشار د. فرحان عبيد الشمري –رئيس الهيئة الإدارية في الجمعية– أن المخيم استضاف في محاضرته الافتتاحية فضيلة الشيخ أ. د. عبدالله الطيار –عضو الإفتاء بمنطقة القصيم والأستاذ في كلية التربية بالزلفي– وكانت بعنوان (الانحراف الفكري الأسباب والعلاج)، وتأتي ضمن إطار جهود الجمعية في تعزيز الوسطية وتصحيح ما يعتري المجتمع من أفكار منحرفة، مشيرا إلى أن المخيم تتخلله فعاليات وأنشطة متنوعة منها ما يتعلق بالنساء فتم تخصيص قاعة لمتابعة الدروس والمحاضرات فضلا عن الأنشطة الثقافية المتنوعة التي تقدم للنساء، مبينا أن المخيم كذلك يشتمل على دورات علمية وشرعية تقدم لرواد المخيم خلال أيام الأسبوع فضلا عن الأنشطة الترفيهية التي تقدم ضمن برامج ترويحية للشباب.

وأوضح الشمري أن لجنة الدعوة والإرشاد التابعة لجميعة إحياء التراث الإسلامي في منطقة الجهراء تجتهد من خلال هذا المخيم في تبليغ دين الله عز وجل ونشر رسالة الإسلام السمحة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مستنيرين في ذلك بالكتاب والسنة.

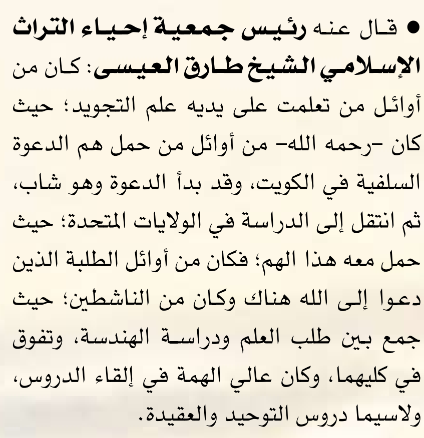
ودعا الشمري الجمهور الكريم لحضور فعاليات المخيم الربيعي السابع والعشرين؛ وذلك دعما لمسيرته الزاخرة بالعطاء، ولأهمية المحاضرات الإيمانية التي يستفيد منها المسلم في دينه ودنياه.


العم يوسف الجريوي يرحمه الله

العم يوسف الجريوي في ذمة الله

رجلٌ بذل عمره في الدعوة إلى الله

انتقل إلى رحمة الله الخميس الماضي ٢٩ نوفمبر، الشيخ يوسف الجريوي، وتم دفنه بعد عصر الجمعة ٣٠ نوفمبر في مقابر الصليبخات، وقد حضر جنازته لفيف من قيادات جمعية إحياء التراث والمحبين له، من طلبة العلم، والمشايخ والدعاة؛ حيث كان -رحمه الله- من أوائل طلبة العلم الذين نشروا الدعوة السلفية المباركة في الكويت منذ أكثر من أربعين سنة.





● قال عنه **رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي الشيخ طارق العيسى**: كان من أوائل من تعلمت على يديه علم التجويد؛ حيث كان -رحمه الله- من أوائل من حمل هم الدعوة السلفية في الكويت، وقد بدأ الدعوة وهو شاب، ثم انتقل إلى الدراسة في الولايات المتحدة؛ حيث حمل معه هذا الهم؛ فكان من أوائل الطلبة الذين دعوا إلى الله هناك وكان من الناشطين؛ حيث جمع بين طلب العلم ودراسة الهندسة، وتفوق في كليهما، وكان عالي الهمة في إلقاء الدروس، ولاسيما دروس التوحيد والعقيدة.

● أما **مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام سالم الناشي** فقال عنه: كان -رحمه الله- من أوائل الإخوة الذين عرفتهم في أمريكا أثناء دراستي، وكان من الدعاة الجادين في الدعوة إلى الله الموافقة لمنهج الكتاب والسنة، وكان رفيقا هينا بإخوانه صاحب معشر طيب ونظرة ثاقبة في الدعوة والعمل الإسلامي.

● وعنه قال **الوزير السابق د. علي العمير**: ببالغ الحزن فقدنا أخاً عزيزاً، ومربيا فاضلاً (يوسف الجريوي أباسعد)، -رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته-؛ فقد أفنى حياته في الدعوة للحق وللخير، وتعاهد الشباب على العلم الشرعي النافع.

● وعن زيارته له قبل وفاته قال **النائب السابق د. عبدالرحمن الجيران**: زرته -رحمه الله- يوم الأربعاء قبل وفاته بيوم؛ فكان وجهه يتهلل كالمذهبة. وحُسن الختام لحياته صلاة العشاء والوتر المعتاد بمجسد الإمام أحمد بن حنبل بمنطقة الفيحاء.

● أما **الشيخ عبد اللطيف السنان** فقال عنه: الأخ يوسف الجريوي بوسعد غفر الله له ورحمه وأسكنه الفردوس الأعلى. رجل مرب وداعية حريص على نشر العقيدة والمنهج السلفي وصاحب خلق جميل معرفتي به أكثر من ٣٥ سنة.

● **كما رثاه مدير قناة المعالي ورئيس لجنة الكلمة الطيبة د. خالد سلطان** قائلا: خيم الحزن على الدعوة السلفية بالكويت لاسيما منطقة الفيحاء؛ حيث إقامته رحمه الله؛ فقد كان عنوان للدعوة والحكمة والتقى ولا نزكي على الله أحدًا، سيفقدك مسجد أحمد بن حنبل، ولن تفقدك قلوبنا التي أحبتك لله.

● وعنه قال **الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الشيخ رائد الحزيمي**: عرفته منذ قرابة ٤٠ سنة، وأول مرة رأيته كان بعد عودته من رحلة دراسته في الخارج، حيث أعطى درسا عن طلب العلم والأخلاق في منطقة الفيحاء، عرفته دمس الأخلاق، حريصًا على طلب العلم، يشجع الشباب عليه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، حريصًا على ملازمة المسجد والصلاة. وما علمنا عنه إلا كُلّ خير من الحرص على السنة، والأخذ بها، والدعوة إليها، فرحمه الله وغفر له وتقبل صالح عمله.



شرح كتاب الجنائز من صحيح مسلم

باب: في كفن الميت

كتب: الشيخ محمد الحمود النجدي

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: كُفِّنَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- في ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بيضٍ سَحُوليَّة منْ كُرْسُف، لَيْسَ فيهَا قَمِيصٌ ولا عمامَةٌ، أَمَّا الْحُلَّةُ فإنَّما شُبِّهَ على النَّاس فيها أَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لهُ ليُكَفَّنَ فيهَا، فتُرِكَتْ الْحُلَّةُ، وَكُفِّنَ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُوليَّةٍ، فَأَخَذَهَا عبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فقال: لَأَحْبِسَنَّهَا حتَّى أُكفِّنَ فيهَا نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَضِيَهَا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لنَبِيِّه، لَكَفَّنَهُ فِيها، فَبَاعَهَا وَتَصدَّقَ بِثَمَنِهَا، الحديث رواه مسلم في كتاب الجنائز (٢/٦٤٩) وبوب عليه النووي بمثل تبويب المنذري، ورواه البخاري كذلك في الجنائز (١٢٧١) باب: الكفن بغير قميص.

باب كفن الميت: الكفن معروف، وهو الثوب الذي يلف به الميت، وقولها: «كفن رسول الله -ﷺ- في ثلاثة أثواب بيض» فيه: أن السُّنة في الكفن ثلاثة أثواب للرجل، وهو مذهبنا ومذهب الجماهير، والواجب ثوب واحد كما سبق، والمستحب في المرأة خمسة أثواب، ويجوز أن يكفن الرجل في خمسة، لكن المستحب ألا يتجاوز الثلاثة، وأما الزيادة على خمسة فإسراف في حق الرجل والمرأة.

قال ابن عبد البر: وأما الفقهاء فأكثرهم يَستحبون في الكَفن ما في هذا الحديث، وكلهم لا يَرون في الكفن شيئا واجباً ولا يُتعدّى، وما ستر العورة أجزأ عندهم، من الحي والميت، وقال الأوزاعي والثوري: يُكفَّن الرجل في ثلاثة أثواب، وتكفن المرأة في خمسة أثواب، وهو آخر قول الشافعي، وقول أحمد وإسحاق وأبي ثور.

الاقتصار على ثوب أو ثوبين

يجوز الاقتصار على ثوب أو ثوبين في الكفن، بشرط أنْ تكونَ ساترة للعورة، قال الإمام البخاري: باب الكفن في ثوبين. ثم روى حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في تكفين المُحْرِم: «وَكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْن». وفي رواية: «وكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْه». وأجمعوا على أنه لا يُكفن في ثوب يَصِف، والمصبوغ كله غيره أفضل منه. وبعد هذا فما كُفِّن فيه الميت مما يَستر عورته ويُواريه أجزأه، هذا كله في كَفَن البالغ، وأما الطفل، فإنه يُكفَّن في أقل من ذلك، روى ابن أبي شيبة: عن الحسن، قال: يُكفّن الفَطِيم والرَّضيع في الْخِرْقة، فإن كان فوق ذلك كُفِّن في قميص وخرقتين، وروى: عن إبراهيم قال: يُكفَّن السِّقْط في خرقة.

الثياب البيض للكفَن

قولها: «بيض» وقد بوَّب الإمام البخاري: باب الثياب البيض للكفَن. دليل لاستحباب التكفين في الثوب الأبيض، وهو مجمعٌ عليه، وفي الحديث الصحيح عن سمرة رضي الله عنه: أن النبي -ﷺ- قال: «الْبَسُوا الثياب البيض ؛ فإنها أطْهرُ وأطْيبُ، وكفَّنوا فيها مَوتاكم». رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.



الكفن يُقدَّم على قضاء الدَّين؛ فإذا كان الميت له مالٌ، فنفقات تجهيزه تكون من ماله، ويكون هذا مقدماً على قضاء ديونه، وتنفيذ وصيته؛ إنْ كان أوصى بشيء، وقبل الميراث.

الثياب المصبوغة

وتكره الثياب المصبوغة ونحوها من ثياب الزينة، وكَرِه الإمام مالك أن يُكفّن رجل أو امرأة في مُعَصْفَر، إلاَّ أن لا يُوجد غيره. نَقَله الباجي، قال في مرقاة المفاتيح: وفي البياض إشعار إلى طهارة الباطن أيضا، من الغل والغش والعداوة، وسائر الأخلاق الذميمة الدنية، المشبهة بالنجاسات الحكمية، بل الحقيقية؛ ولذا قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء. والحاصل أنّ الظاهر عنوان الباطن، وأن نظافة الظاهر من البدن وما يلاقيه من الثياب، لطهارته وتزيينه له تأثيرٌ بليغ في أمر الباطن؛ ولذا قال -تعالى-: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ المدثر. في الجمع بين الأمرين، وفي الحديث الشريف: إشارة خفية إلى أن أطيبية لبس البياض في الدنيا إنما تكون لتذكير لبس أهل العقبى، إيماء إلى أن مآله إلى البلى، فلا ينبغي للعاقل أن يتحمل في تحصيله البلاء، ثم اعلم أن البياض في الكفن أفضل؛ لأن الميت بصدد مواجهة الملائكة، كما أن لبسه أفضل لمن يحضر المحافل، كدخول المسجد للجماعة، وملاقاة العلماء والكبراء، وأما في العيد فقال بعضهم: الأفضل فيه ما يكون أرفع قيمة؛ نظرا إلى إظهار مزيد النعمة، وآثار الزينة ومزية المنة. انتهى.

قولها: من كرسف

قولها: «من كرسف» هو القطن. وفيه: دليل على استحباب كفن القُطن، وأما كفن الحرير، فلا يجوز للرجال، فيحرم تكفين الميت فيه، مع وُجود ما يُكفّن فيه مِن غير الحرير؛ لأن الحرير حرام لبسه على الحي؛ فكيف يُلبسه الميت؟! قال النووي: فقال أصحابنا: يحرم تكفين الرجل فيه، ويجوز تكفين المرأة فيه مع الكراهة. وكره مالك وعامة العلماء التكفين في الحرير مطلقا، قال ابن المنذر: ولا أحفظُ خلافه.

قولها: سَحُولية

قولها: «سَحُولية ليس فيها قميصٌ ولا عمامة» وفي رواية: «كُفِّنَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ سَحُولَ يَمَانِيّة». السحولية: بفتح السين وضمها، والفتح أشهر، وهو رواية الأكثرين. قال ابن الأعرابي وغيره: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن. وقال ابن قتيبة: ثيابٌ بيض، ولم يخصها بالقطن. وقال آخرون: هي منسوبة إلى سحول قرية باليمن، تعمل فيها. وقال الأزهري: السَّحولية - بالفتح - منسوبة إلى سحول مدينة باليمن يحمل منها هذه الثياب، وبالضم ثياب بيض، وقيل: إنّ القرية أيضا بالضم، حكاه ابن الأثير في النهاية.

قال النووي: في هذا الحديث - وحديث مصعب بن عمير السابق وغيرهما - وجوب تكفين الميت، وهو إجماع المسلمين، ويجب في ماله، فإنْ لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته، فإن لم يكن ففي بيت المال، فإن لم يكن وجب على المسلمين يوزعه الإمام على أهل اليسار وعلى ما يراه.

قولها: ليس فيها قميصٌ ولا عِمامة

قولها: «ليس فيها قميصٌ ولا عِمامة» معناه: لم يُكفَّن في قميص ولا عمامة، وإنما كُفن في ثلاثة أثوابٍ غيرهما، ولم يكن مع الثلاثة شيءٌ آخر، هكذا فسّره الشافعي وجمهور العلماء، وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث. قالوا: ويستحب ألا يكون في الكفن قميصٌ ولا عمامة، وقال مالك وأبو حنيفة: يستحب قميص وعمامة. وتأولوا الحديث على أن معناه: ليس القميص والعمامة من جملة الثلاثة، وإنما هما زائدان عليهما، وهذا ضعيف، فلم يثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- كُفّن في قميص وعمامة. قاله النووي.

القميص الذي غُسّل فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-

وهذا الحديث يتضمن أن القميص الذي غُسّل فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- نُزع عنه عند تكفينه، وهذا هو الصواب الذي لا يتجّه غيره؛ لأنه لو بقي مع رطوبته؛ لأفسد الأكفان. وأما الحديث الذي في سنن أبي داود: عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كُفّن في ثلاثة أثواب: الحلة ثوبان، وقميصه الذي تُوفي فيه». فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به؛ لأن يزيد بن أبي زياد أحد رواته مجمعٌ على ضعفه، لا سيما وقد خالف بروايته الثقات.

قولها في رواية: «أما الحلة فإنما شُبه على الناس فيها» هو بضم الشين وكسر الباء المشددة، ومعناه: اشتبه عليهم. قال أهل اللغة: ولا تكون الحلة إلا ثوبين: إزارا ورداء، وفي رواية لمسلم: في ثلاثة أثواب بيض سحولية مِن كُرسُف ليس فيها قميص ولا عمامة، أما الْحُلَّة فإنما شُبّه على الناس فيها أنها اشتريت له ليُكفّن فيها فتُركت الْحلة وكُفِّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال: لأحبسنها حتى أكفِّن فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله -عز وجل- لنبيه لكَفَّنه فيها، فباعها وتصدّق بثمنها.

ليس المراد بإحسان الكفن نفاسته والمغالاة فيه وإنما المراد نظافته ونقاؤه وستره وتوسطه

فوائد الحديث

وفي الحديث من الفوائد:

صفة كفن النبي -ﷺ

١- صفة كفنه -ﷺ-، وأن سيّد ولد آدم قد كُفِّن كما يُكفَّن سائر الناس، وفي هذا:

أ - تواضعه -عليه الصلاة والسلام-؛ حيث إنه لم يُوص بأن يُميّز بِكَفَنٍ، أو بِمكان، يختلف عن سائر الناس.

ب - حقارة الدنيا، حيث لم يخرج منها نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- إلاَّ بقماش أبيض.

التواضع في الكفن

٢- استحباب التواضع في الكفن، وكراهية المغالاة في الكفن، هذه هي السنة النبوية، وقد روى البخاري: من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت -وهي تُحدِّث عن وفاة أبي بكر رضي الله عنه -: فنظر إلى ثوب عليه كان يُمَرِّض فيه، به رَدْع من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها، قلت: إن هذا خَلِق ! قال: إنَّ الحي أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمُهْلَة.

قوله: «به رَدْع»، أي: بهذا الثوب الذي عليه رَدْع، بفتح الراء وسكون الدال المهملة وفي آخره عين مهملة: هو اللطخ والأثر.

وقوله: «إنما هو للمُهْلَة» بضم الميم وهو: القيح والصديد. وقد يكون المراد «بالمهلة» التمهل، أي: إن الجديد لمن يريد البقاء، وهذا سيسلب سريعاً.

ورَوى عبد الرزاق من طريق صِلة بن زُفر قال: أرسلني حذيفة بن اليمان ورجلاً آخر نشتري له كفنا، فاشتريت له حُلّة حمراء جيدة، بثلاث مائة درهم، فلما أتيناه قال: أروني ما اشتريتم، فأريناه فقال: رُدّوها، ولا تُغَالوا في الكفن، اشتروا لي ثوبين أبيضين نقيين، فإنهما لن يُتركا عليّ إلاّ قليلا حتى أُلْبس خيرا منهما، أو شَرًّا منهما. وأما ما رواه مسلم: من حديث جابر مرفوعا: «إذا كَفّن أحدكم أخاه؛ فليُحسِنْ كَفَنه». فهذا له سببٌ، وهو: أنّ النبي -ﷺ- خطب يوما، فَذَكر رجلاً من أصحابه قُبض فكُفّن في كفن غير طائل، وقُبر ليلا، فزجر النبي -ﷺ- أن يُقْبر الرجل بالليل؛ حتى يُصلى عليه؛ إلاَّ أن يُضطر إنسانٌ إلى ذلك، وقال النبي -ﷺ-: «إذا كَفّن أحدكم أخاه، فليُحسن كَفَنه»، فقوله «غير طائل» أي: حقير غير كامل الستر.

إحسان الكفن

وإحسان الكَفن لا يعني المبالغة في ثمن الكفن؛ قال العلماء: وليس المراد بإحسانه السرف فيه والمغالاة ونفاسته، وإنما المراد: نظافته ونقاؤه، وكثافته وستره وتوسطه، وكونه من جنس لباسه في الحياة غالبا، لا أفخر منه ولا أحقر. لأنه سيُسْلَب سريعا، كما قال أبو بكر وحذيفة -رضي الله عنهم.

وأوْرَد ابن عبد البر ما جاء عن بعض الصحابة في عدم المبالغة في الكفن، ثم قال: وليس في هذا كله دَفع لحديث جابر عن النبي قال: «إذا كَفّن أحدكم أخاه فليُحْسن كفنه»، ولا ما يُعارضه، لأنه يحتمل حديث جابر هذا هيئة التكفين، بدليل قوله: «إنَّ الله -عز وجل- يُحب من عبده إذا عمل عملا أنْ يُتقنه ويُحسنه». على أن مَن كفّن أخاه في ثوب نقي أبيض أو ثياب بيض؛ فقد أحسن، والبالي والجديد في ذلك سواء. اهـ.

وقال ابن حجر: يُجمع بينهما بحمل التحسين على الصفة، وحَمْل المغالاة على الثمن. اهـ. قال ابن عبد البر: وقد أجمع العلماء على كراهية الْخَزّ والحرير للرجال في الكفن، ومنهم مَن كَرهه للرجال والنساء في الكفن خاصة. اهـ.

الكفن وقضاء الدين

٣- قال العلماء: الكفن يُقدَّم على قضاء الدَّين؛ فإذا كان الميت له مالٌ، فنفقات تجهيزه تكون من ماله، ويكون هذا مقدماً على قضاء ديونه، وتنفيذ وصيته؛ إنْ كان أوصى بشيء، وقبل الميراث، بدليل قول النبي -ﷺ- في الرجل الذي مات بعرفة: «وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ». رواه البخاري (١٨٥١) ومسلم (١٢٠٦)، قال ابن القيم في (زاد المعاد) (٢/٢٤٠) في الأحكام المستفادة من هذا الحديث:» أن الكفن مقدم على الميراث، وعلى الدَّين؛ لأن رسول الله -ﷺ- أمر أن يكفن في ثوبيه، ولم يسأل عن وارثه، ولا عن دَيْن عليه، ولو اختلف الحال لسأل، وكما أن كسوته في الحياة مقدمة على قضاء دَيْنه، فكذلك بعد الممات، هذا كلام الجمهور، وفيه خلاف شاذ لا يُعَوَّل عليه» انتهى. وانظر: (المجموع) (١٤٧/٥)، (المغني) (٤٥٧/٣).

وقال عيسى بن دينار: والكفن من رأس المال، يُجبر الغرماء والورثة على ثلاثة أثواب مِن رأس مال الميت، تكون وَسطا. قال ابن عبد البر: قول عيسى في هذا الباب كله حسن، وجمهور الفقهاء على أن الكفَن مِن رأس المال، ومن قال إنه من الثلث فليس بشيء؛ لأن مصعب بن عمير لم يترك إلاّ نَمِرة قصيرة، كَفّنه فيها رسول الله -ﷺ- ولم يلتفت إلى غريم ولا وارث.



آيات الله (٢)

بقلم: د. أمير الحداد(*)
www.prof-alhadad.com

- يقول -تبارك وتعالى- بعد أن ذكر نوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود وموسى -عليهم السلام جميعا-: {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء: ١٦٥)، وأعطى كل نبي ما يثبت صدق بعثته ودعوته، وذلك أن أقوامهم بادروهم بقولهم: {مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الشعراء: ١٥٤)، وعلمنا أن آية نوح كانت السفينة وآية صالح كانت الناقة، أما آية إبراهيم -عليه السلام- فكانت الخروج من النار العظيمة التي أوقدها الكفار، وجعلوها في حفرة، ووضعوا إبراهيم في المنجنيق ليلقوه في النار دون أن يصيبهم حرها وشررها؛ فكان أمر الله -تعالى-: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (الأنبياء: ٦٩).

قاطعني صاحبي:

- ألم تكن من الآيات التي أعطاها الله لإبراهيم أنه قطع أربعة طيور وجعل على كل جبل جزءا ثم دعاهم فأتين سعيا؟

- هذا الأمر كان استجابة لطلب إبراهيم -عليه السلام- عندما قال: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} (البقرة: ٢٦٠)، ولم يتحدَّ بهذه المعجزة قومه -عليه السلام.

- إذاً من الأمور التي تكون في معجزة الرسول هي مسألة التحدّي، أي أنه يأتي بأمر يتحدّى قومه أن يأتوا بمثله.

- نعم، ذلك صحيح وإذا أتت الآية استجابة لطلب القوم ثم كفروا بها فإن الهلاك العام هو مصيرهم؛ لأنه إثبات على أنهم لم يطلبوا هذه الآية؛ لأنهم لا يصدقون الرسول، وإنما طلبوها عنادا وتكبرا؛ فاستحقوا عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.

ولنتابع حديثنا عن آيات الأنبياء.

اضطر صاحبي أن يأخذ طريقا جانبيا أدخلنا في إحدى المناطق جنوب الكويت؛ وذلك أن الأمطار الغزيرة تجمعت في الطريق الرئيس؛ مما اضطر السلطات إلى إغلاقه وتحويل المسار، تابعنا حديثنا.

- أما موسى فقد أوتي تسع آيات بينات، ذكرها الله كلها في موضع واحد وذكرها متفرقة في مواضع عدة، يقول -سبحانه-: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} (الأعراف: ١٣٣).

- هذه خمس.

كان صاحبي يعقد أصابعه وأنا أقرأ الآية.

- أضف إليها العصا واليد وانفلاق البحر والرجز، كم صارت؟

- تسع آيات، قالها مبتسماً.

- ولم يأت قوم من الآيات ما أوتي اليهود (قوم موسى)، ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل، بالنسبة للآيات التي جاءتهم، وأكبر خطيئة وقعوا فيها هي إنكارهم بعثة الرسول محمد -ﷺ- مع أن موسى بشر بقدومه في التوراة؛ ولذلك كانوا يسكنون يثرب ويعلمون أنه سيكون في مدينة فيها نخيل، وكانوا يتوعدون الأوس والخزرج، كما قال -تعالى-: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٨٩).

- ولكن الرسول -ﷺ- أخبر أن أتباع موسى هم الملة الأكبر بعد ملة محمد -ﷺ-.

- نعم جاء ذلك في الحديث الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله -ﷺ- قال: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه رهط، ورأيت النبي ﷺ ومعه رجل، ورأيت النبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم فقلت: هذه أمتي؟ فقيل هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم ثم قيل لي: انظر إلى هذا الجانب الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك..» صحيح الجامع وزيادته.

(*) أستاذ في جامعة الكويت

(١٥)

رسائل تربوية

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

الشيخ: عبدالوهاب السنين

رسالتنا اليوم من الرسائل المهمة، وهي من القيم والمبادئ المهمة في التربية والأخلاق ألا وهي الموعظة الحسنة، والموعظة يحتاج إليها الإنسان، وهي مطلبٌ جليل، ولا سيما هذه الأيام التي كثُرت فيها الصوارف عن الخير والخُلُق الكريم، وكثُرت فيها الدعوة إلى الرذيلة، إما بطريقة مباشرة، وإما بطريقة غير مباشرة، وبأسماء متعدِّدة.

ولا شك أن الموعظة النافعة المفيدة هي التي يكون معها علم نافع مفيد، وإلا فلن يبقى لها أثر، وتكون كالسياط في لسعتها، وفي آثارها، ثم تزول لمجرد زوال الشيء عنها، ولابد أن ننتبه لهدي النبي -ﷺ- في الموعظة؛ ففي الصحيحين عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه كان يذكر كل خميس؛ فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله -ﷺ- كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

مفهوم العلم

من أين أخذنا هذا المفهوم؟ مفهوم العلم وأهميته في الموعظة أخذناه من حديث النبي -عليه الصلاة والسلام-، حديث العرباض بن سارية حين قال: وعظنا رسول الله -ﷺ- موعظة، ثم قال بعد ذلك: وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، إلى آخره، ثم قالوا: يا رسول الله، أوصنا، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «أوصيكم بتقوى الله»، ثم قال بعد ذلك: «والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد حبشي»، ثم قال بعدها: «وعليكم بسنتي، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا»، ثم قال بعدها: «وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

هنا، حين ننظر إلى حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد أن جاءت بالآثار المطلوبة في وعظه -عليه الصلاة والسلام-، وأصبحت القلوب مهيأة؛ لأنها استفادت من هذه الموعظة، وأصبحت وجلة، وذرفت العين، وتهيأت القلوب، هنا جاء العلم النافع المفيد، في قوله: «عليكم بتقوى الله»، وهذا علم نافع مفيد؛ لأن التقوى هي الإخلاص، إخلاص العمل، ولا يُقبل عمل أبداً إلا بإخلاص؛ ولذلك يقول العلماء: «من شروط قبول العمل، أن يكون خالصاً لله، وصواباً»؛ فإذا لم يكن خالصاً، فلن يستفيد منه العبد أبداً، ثم قال بعد ذلك: «من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا»، وهذا طريق إلى النزاع، وطريق إلى الفُرقة ولا شك، هنا النبي يشير إلى هذه القضية المستقبلية، بمعنى أنها ستقع بينكم، وجاء بالحلول، وهو العلم النافع المفيد «عليكم بالسمع والطاعة»، بمعنى: يكون عليكم حاكم أو أمير يُطاع، حتى لا يؤدي إلى النزاع والخلاف؛ لأنكم تتنازعون على أمر يضبطه هذا الإمام، أو هذا الحاكم، أو هذا الأمير، وهذه كذلك مسألة علمية.

ثم يتناول مسألة الخلاف من باب آخر، أنك تكون متبعاً؛ لأنه قال: «عليكم بسنتي»، يعني: سنة النبي، وهو الاتباع للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وهذه مسألة أخرى علمية، ثم قال: «وعليكم بسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»، وهذه مسألة غاية في الأهمية، من أراد الطريق الصحيح، فعليه أن يتمسك بسنة النبي وسنة الصحابة الأكارم.

انظر إلى هذه الخطوات، هذه كلها علم نافع مفيد، لكن متى أتى النبي -عليه الصلاة والسلام- بالعلم النافع المفيد؟ نقول: بعد أن قدّم هذه المقدمة من الموعظة الحسنة، فتهيأت القلوب لاستقبال العلم النافع؛ لذلك نقول لكل إنسان يريد أن يعظ، ويريد أن يأتي بما يرقّق القلوب: عليه أن ينتبه إلى أن السامع لن يستفيد من هذه الموعظة، مالم يأت معها علم نافع مفيد، يستفيد منه القلب؛ فالعلم النافع هو الذي يبقى.

والمسلم لاشك أنه يحتاج إلى الموعظة؛ لأنه لا ينفك عن حياته، ولا ينفك عن سلوكه، وآدابه، وأخلاقه؛ فالإنسان أحياناً يُصاب بضعف في إيمانه، ويُصاب بشيء من الكسل، والتراخي، كما أُصيب حنظلة -رضي الله عنه-، وشكى الأمر إلى أبي بكر الصديق؛ فالموعظة هي تنبيه الغافلين على أمر ينبغي أن يؤدُّوه، وهو واجب عليهم وقد غفَلوا عنه، وحضّهم عليه، وهي كذلك زجرٌ للمسرفين على أنفسهم عن مُنكرٍ

ينبغي أن يُخلِص الواعظ في عمله، وذلك في أن يكون وعظه خالصًا لله، لا يريد من ورائه سمعة ولا مصلحة

فعلوه، ونَهيهم عنه.

آداب الموعظة وأثرها

يتوقّف أثر الموعظة على التزام الواعظ بآداب الموعظة، وأخذه بالوسائل المؤثّرة:

● ينبغي أن يُخلِص الواعظ في عمله، وذلك في أن يكون وعظه خالصًا لله، لا يريد من ورائه سمعة ولا مصلحة، وعندئذ فإن الله يُبَارِك في عمله، ويجعل أثر موعظته أثرًا نافعًا.

● ينبغي أن يكون خفيفَ الظلّ، دائمَ الابتسامة؛ فالواعظ الثقيل ينفّر السامعين من الحق، وأن يكون حسن الهندام، حسن الملابس.

● ينبغي أن يكون متلطفًا في المخاطَبين، داعيًا بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكون عارفًا حال المخاطَبين ومستواهم الفكريّ والمادي.

● أن يكون الواعظ محبًّا للمخاطَبين، حريصًا عليهم، مشفقًا من أن يصيبَهم عذاب الله في نار جهنم، ويُشعِرهم بأنه يريد إنقاذهم من النار، ولنا أسوة بالنبي - -ﷺ- - الذي كان يقول - كما روى جابر -: «مَثَلي ومَثَلكم كمَثَل رجلٍ أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبُّهن عنها، وأنا آخذٌ بحُجَزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي».

● أن يكون على علم بالموضوع الذي يتكلّم فيه، وألا يُطيل إذا تكلم، وأن يتخوّل القومَ بالموعظة حتى لا يسأموا.

● أن يسلك مسلكَ التدرُّج، وألا يبدأ بالأمور التي يعلم صعوبة استجابتهم له، لا يُبِيحها، ولكن يسكت عنها مبدئيًّا.

● أن يكون عاملاً بما يعلم، مطبّقًا لما يأمر الناس به، وألا يكون في حياته ازدواجٌ، وإلا يَصدُق عليه قول أبي الأسود:

يا أيها الرجلُ المعلّم غيرَه
هلاّ لنفسِك كان ذا التعليمُ
لاتنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

المقاصد الكلية للموعظة الحسنة

الموعظة باب من أبواب الدعوة إلى الله، وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ويحسن هاهنا إيراد مقاصد الموعظة وحكمها؛ حتى لا يُظَن أنها شرعت لمصلحة معينه؛ فإذا فاتت تلك المصلحة ظُنّ أن الموعظة لم تؤتِ ثمرتها.

ويمكن إجمال تلك المقاصد والحكم بما يلي :

● إقامة حجة الله على خلقه:كما قال -تعالى- ﴿رُسُلاً مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء:١٦٥).

● الإعذار إلى الله والخروج من عهدة التكليف: قال الله -تعالى- في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف:١٦٤)، وقال -عز وجل-: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (الذاريات:٥٤).

● رجاءُ النفع للمأمور: كما قال -تعالى-: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف:١٦٤)، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات:٥٥).

● رجاء المثوبة من عند المولى -جلّ وعلا-: إذ الدعوة باب عظيم من أبواب البر.

● الخوف من عقاب الله اعز وجلا: إذ إنَّ تَرْكَ الدعوة مُؤذن بالعقوبة. قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة:٥٤)، وقال: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٨).

● النصيحة للمؤمنين: والرحمة بهم، ومحبة الخير لهم، والرغبة في إنقاذهم مما أوقعوا به أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وهذا قريب من الثالث.

● إجلال الله وإعظامه، ومحبته: وأنه أهلٌ لأن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يُفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.

وقد سئل الشيخ ابن باز -رحمه الله- من شاب قال له: أريد أن أدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن كيف أفعل؟ فقال -رحمه الله- يقول -سبحانه- في كتابه الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥)، الحكمة: العلم، قال الله قال رسوله ووضعها في المحل المناسب، هذه الحكمة أن تكلم بالحق في الوقت المناسب والمحل المناسب، تؤدي هذه الأوامر بالعبارات الحسنة والألفاظ اللينة التي ليس فيها عنف، هذه الموعظة الحسنة قال الله قال رسوله، يا عبد الله؛ هذا لا يجوز، اتق الله، يرحمك الله، هذا يجب عليك هذا يجب تركه، بعبارات لينة، مع بيان الأدلة قال الله كذا، قال الرسول كذا عليه الصلاة والسلام، هكذا تكون الحكمة والموعظة الحسنة، بالكلام الواضح من كلام الله وكلام رسوله مع الرفق وعدم العنف والشدة أو السب أو نحو ذلك، بل يكون كلاما واضحا لينا، ليس فيه عنف ولكن فيه الرفق والكلام الطيب، والجدال بالتي هي أحسن عند المجادلة، إذا جادل من فعل المنكر تجادله بالتي هي أحسن إلا من ظلم؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلّا بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلّا الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت:٤٦)، من ظلم يستحق الجدال بمثل عمله.

بيان الحكمة من قول الله -تعالى-: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾

الإعجاز التشريعي في الميراث

كتب: عادل الصعدي
كاتب وباحث يمني

إن التشريعات المتعلقة بالميراث تعالج قضية مهمة في الواقع الإنساني؛ حيث إنها تعالج قضية مالية، والمال تشتد المنافسة في طلبه والحرص عليه، وكثيرًا ما تقع فيه الخصومة، وإن الورثة هم أقرب الناس فيما بينهم، والشريعة تحرص في مجمل أحكامها على دعم العلاقة الاجتماعية في حياة المجتمع المسلم ولاسيما بين الأقارب، وتحرص على عدم الخصومة والعداوة والشحناء بينهم، ولما كان الأمر كذلك من أهمية هذا العلم؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- قد تولى بيانه بنفسه، فجاءت معظم أحكامه الأساسية في سورة النساء مفصلة كما سبق ذكره في الآيات السابقة، وهذا التفصيل على خلاف المعهود من المنهج القرآني الذي يتناول الأحكام كثيرًا بالإجمال، ويترك للسنة البيان والتفصيل، فأحكام الصلاة والزكاة والصيام لا نجدها مفصلة في كتاب الله كما فصلت أحكام المواريث، وكل ذلك مشعر بمدى اهتمام التشريع الإسلامي بأحكام المواريث؛ فكانت هذه الأحكام متصفة بالعدالة والدقة والواقعية والتوازن والانسجام والتكامل بين أحكامها بما يشير إلى ربانيتها.

من أوجه الإعجاز العظيمة في تشريع المواريث جعل حق الرجل ضعف حق المرأة، قال -تعالى-: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، وكانت هذه النقطة بالذات مثار جدل كبير، وكانت من أشهر الاعتراضات على نظام الإرث في الإسلام، وادعاء بعض المخالفين أن المرأة مظلومة؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا الادعاء ادعاء باطل، وينبئ عن جهل صاحبه؛ فنظام الإرث في الإسلام نظام مثالي؛ فهو إذ يقرر للمرأة نصف نصيب الرجل، فإنه قد حقق العدالة الاجتماعية بينهما.

فالمرأة قديمًا كانت تباع وتشترى، فلا إرث لها ولا ملك، وأن بعض الطوائف اليهودية كانت تمنع المرأة من الميراث مع إخوتها الذكور، وإن الزوجة كانت تباع في إنجلترا حتى القرن الحادي عشر، وفي سنة ١٥٦٧م صدر قرار من البرلمان الاسكتلندي يحظر على المرأة أن يكون لها سلطة على شيء من الأشياء.

أما عرب الجاهلية فقد وضعوا المرأة في أخس وأحقر مكان في المجتمع، فكانت توءد طفلة وتُورَّث كما يورث المتاع، وكانوا لا يورثون النساء والأطفال؛ حيث كان أساس التوريث عندهم الرجولة والفحولة والقوة؛ فورثوا الأقوى والأقدر من الرجال على الذود عن الديار؛ لأنهم كانوا يميلون إلى الفروسية والحرب، وكانوا أهل كر وفر وغارات من أجل الغنائم.

معاملة كريمة

الإسلام عامل المرأة معاملة كريمة، وأنصفها بما لا تجد له مثيلاً في القديم ولا الحديث؛ حيث حدد لها نصيبًا في الميراث سواءً قل الإرث أم كثر، حسب درجة قرابتها للميت، فالأم والزوجة والابنة، والأخوات الشقيقات والأخوات لأب وبنات الابن والجدة، لهنَّ نصيب مفروض من التركة، قال -تعالى-: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (النساء: ٧).

حق النساء في الإرث

وبهذا المبدأ أعطى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً حق النساء في الإرث كالرجال، أعطاهنَّ نصيبًا مفروضًا، وكفى هذا إنصافًا للمرأة حين قرر مبدأ المساواة في الاستحقاق، والإسلام لم يكن جائرًا أو مجاوزًا لحدود العدالة، ولا يحابي

الإسلام عامل المرأة معاملة كريمة، وأنصفها بما لا تجد له مثيلاً في القديم ولا الحديث؛ حيث حدد لها نصيبًا في الميراث سواءً قل الإرث أم كثر

الإسلام لم يكن جائرًا أو مجاوزًا لحدود العدالة، ولا يحابي جنسًا على حساب جنس آخر حينما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل

جنسًا على حساب جنس آخر حينما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، كما في قوله -تعالى-: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: ١١).

التشريع الإسلامي

فالتشريع الإسلامي وضعه رب العالمين الذي خلق الرجل والمرأة، وهو العليم الخبير بما يصلح شأنهم من تشريعات، وليس لله مصلحة في تمييز الرجل على المرأة أو المرأة على الرجل، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)، فقد حفظ الإسلام حق المرأة على أساس من العدل والإنصاف والموازنة، فنظر إلى واجبات المرأة والتزامات الرجل، وقارن بينهما، ثم بيّن نصيب كل واحد.

أسباب أخذ الرجل ضعف المرأة

من العدل أن يأخذ الابن (الرجل) ضعف الابنة «المرأة» للأسباب الآتية:

أعباء مالية

١- فالرجل عليه أعباء مالية ليست على المرأة مطلقًا، فالرجل يدفع المهر، يقول -تعالى-: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: ٤)، أي وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة وفريضة لازمة(١٦)، وعن طيب نفس، والمهر حق خالص للزوجة وحدها لا يشاركها فيه أحد؛ فتتصرف فيه كما تتصرف في أموالها الأخرى كما تشاء متى كانت بالغة عاقلة رشيدة.

مكلف بالنفقة

٢- والرجل مكلف بالنفقة على زوجته وأولاده؛ لأن الإسلام لم يوجب على المرأة أن تنفق على الرجل ولا على البيت حتى ولو كانت غنية إلا أن تتطوع بمالها عن طيب نفس، يقول الله -تعالى-: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا...﴾ (الطلاق: ٧)، وقوله -تعالى-: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقال رسول الله -ﷺ- في حجة الوداع عن جابر -رضي الله عنه-: «اتقوا الله في النساء فإنهنَّ عوان عندكم، أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف»(١٧)، فمال الرجل مستهلك، ومال المرأة موفور.

النفقة على الأقرباء

٣- والرجل مكلف أيضًا -بجانب النفقة على الأهل- بالأقرباء وغيرهم ممن تجب عليه نفقته؛ حيث يقوم بالأعباء العائلية والالتزامات الاجتماعية التي يقوم بها المورث بكونه جزءًا منه أو امتدادًا له أو عاصبًا من عصبته؛ ولذلك حينما تتخلف هذه الاعتبارات كما هي الحال في شأن توريث الإخوة والأخوات لأم، نجد أن الله الحكيم قد سوَّى بين نصيب الذكر ونصيب الأنثى منهم في الميراث، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء: ١٢).

فالتسوية هنا بين الذكور والإناث في الميراث؛ لأنهم يدلون إلى الميت بالأم، فأصل توريثهم هنا الرحم، وليسوا عصبةً لمورثهم حتى يكون الرجل امتداداً له من دون المرأة، فليست هناك مسؤوليات ولا أعباء تقع على كاهله. بينما المرأة مكفية المؤنة والحاجة؛ فنفقتها واجبة على ابنها أو أبيها أو أخيها شريكها في الميراث أو عمِّها أو غيرهم من الأقارب.

رحمة الإسلام

مما سبق نستنتج أن المرأة غمرت برحمة الإسلام وفضله فوق ما كانت تتصور؛ فبالرغم من أن الإسلام أعطى الذكر ضعف الأنثى، فهي مرفهة ومنعمة أكثر من الرجل؛ لأنها تشاركه في الإرث دون أن تتحمل تبعات؛ فهي تأخذ ولا تعطي، وتغنم ولا تغرم، وتدخر المال دون أن تدفع شيئًا من النفقات أو تشارك الرجل في تكاليف العيش ومتطلبات الحياة، ولربما تقوم بتنمية مالها في حين أن ما ينفقه أخوها وفاءً بالالتزامات الشرعية قد يستغرق الجزء الأكبر من نصيبه في الميراث.

وتفوق الرجل على المرأة في الميراث ليس في كل الأحوال، ففي بعض الأحوال تساويه، وفي بعض الأحيان قد تتفوق المرأة على الرجل في الميراث، وقد ترث الأنثى والذكر لا يرث.

والمرأة لا تحصل على نصف نصيب الرجل إلا إذا كانا متساويين في الدرجة، والسبب الذي يتصل به كل منهما إلى الميت، فمثلاً: الابن والبنت، أو الأخ والأخت، يكون نصيب الرجل هنا ضعف نصيب المرأة، قال -تعالى-: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١)، وقال -تعالى-: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦).

وهناك حالات ميراث للمرأة تخالف قاعدة (للذّكر حظّ الأنثيين)، وإننا نلاحظ أن الفقه الإسلامي في باب الفرائض حدّد أربعاً وثلاثين حالة من أحوال الميراث ترث فيها المرأة بنسب مختلفة:

أ- عشر حالات ترث المرأة مثل الرّجل.

ب- عشر حالات أخرى ترث المرأة فيها أكثر من الرّجل.

ج- عشر حالات تحجب المرأة فيها الرّجل وتأخذ الإرث كاملاً.

د- أربع حالات فقط وهي التي يكون فيها للذّكر مثل حظّ الأنثيين.

التشريع الإسلامي وضعه رب العالمين الذي خلق الرجل والمرأة، وهو العليم الخبير بما يصلح شأنهم من تشريعات

بالرغم من أن الإسلام أعطى الذكر ضعف الأنثى، فهي مرفهة ومنعمة أكثر من الرجل؛ لأنها تشاركه في الإرث دون أن تتحمل تبعات؛ فهي تأخذ ولا تعطي، وتغنم ولا تغرم

أمثلة على مساواة المرأة للرجل في الميراث

- ميراث الأب والأم، لكل واحد منها السّدس لقوله -تعالى-: {وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ} (النساء: ١١)، فإذا توفّي شخص وترك أباً وأمّاً وابناً فيكون نصيب الأب السّدس فرضاً لوجود الفرع الوارث وهو الابن، وترث الأم السّدس فرضاً لوجود الفرع الوارث، والابن يأخذ الباقي تعصيباً.

- ميراث الإخوة للأم سواء بين الذّكور والإناث فالذّكر يأخذ مثل الأنثى عند فقدان الفرع الوارث؛ لقوله -تعالى-: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} (النساء: ١٢).

حالات ترث المرأة أكثر من الرّجل

في بعض حالات الميراث نجد أن المرأة ترث أضعاف الرّجل حسب قوله -تعالى-: {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ} (النساء: ١١)، ومن الأمثلة على ذلك:

- مات شخص وترك بنتاً وأباً، فيكون نصيب الأب السّدس، وهو أقل بكثير من نصيب البنت أو البنات، ومع ذلك لم يقل أحد إن كرامة الأب منقوصة بهذا الميراث.

- مات شخص وترك بنتاً وأخوين شقيقين، فالبنت لها النصف لانفرادها، ولعدم وجود من يعصبها، والأخوان الشقيقان يأخذان الباقي تعصيباً بالتساوي بينهما، فيكون نصيب كل أخ شقيق الربع، وهنا يكون نصيب الرجل أقل من الأنثى.

- مات شخص عن بنتين، وعمّين شقيقين، فالبنتان ترثان الثلثين فرضاً لتعدّدهنّ، ولعدم وجود من يعصبهن، بالتّساوي بينهما، فكل واحدة لها الثلث، والعمان الشقيقان يأخذان الباقي تعصيبًا، فيكون نصيب كل عم السدس، وهنا يكون نصيب الذكر أقل من الأنثى.

- إذا ماتت امرأة ولها زوج وابنة، ترث البنت النصف ويرث الزوج الربع، فالبنت ترث ضعف ما يرث أبوها.

حالات ترث فيها المرأة ولا يرث فيها الرجل

هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث فيها الرّجل وهذه بعض الأمثلة:

- مات شخص عن ابن وبنت وأخوين شقيقين، فالابن والبنت يأخذان التركة كلّها، ويكون للذّكر مثل حظ الأنثيين، والأخوان الشقيقان لا يرثان شيئاً فقد حجبهما الفرع الوارث، فترث البنت ولا يرث الأخ الشقيق.

- مات رجل عن (أم أم) و(أب أم) يعني جدّة لأمّه وجدّ لأمّه، فهنا ترث أم أمّه كل التركة وتعرف في علم المواريث بالجدّة الصحيحة، أي أنها ترث السّدس فرضاً، والباقي ردّا، ولا شيء لجدّه للأم، وهو زوجها رغم أنّه في درجتها بالنسبة للمتوفّى، وترث النصيب كلّه؛ لأنها من أصحاب الفروض والجدّ من أصحاب الأرحام، وأصحاب الأرحام لا يرثون مع أصحاب الفروض.

- مات شخص عن بنت وأخت شقيقة، وترك أخاً لأب، وابن أخ شقيق وابن أخ لأب وعماً وابن عم، فإن الأخت الشقيقة مع البنت عصبة مع الغير في قوة الأخ الشقيق، تحجب ما يحجبه الأخ الشقيق، فتحجب كل هؤلاء الرّجال، وهكذا ترث البنت النصف فرضاً وترث الأخت الشقيقة النصف فرضاً ولا يرث الأخ لأب ولا أبناء الأخوة ولا الأعمام ولا أبناء الأعمام، وكلّهم ذكور.

إنصاف الإسلام للمرأة

وهذه بعض الأمثلة على إنصاف الإسلام للمرأة، وقد شهد بذلك أهل العلم والإنصاف من المسلمين ومن غير المسلمين، يقول بعض الكتّاب: «لولا يقيني بأن الإسلام ينصف الناس جميعاً ويعدل بينهم، لقلت: إن الإسلام ينحاز إلى المرأة ويقف في صفها، ويؤثرها على الرجل». ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا: «إن إعطاءهن نصف الميراث تفضيل لهن عليهم (يعنى الرجال) في أكثر الأحوال». ولقد قال المفكر الغربي (غوستاف لوبون) عن ميراث المرأة في الإسلام: «إن مبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف، ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات حقوقاً في الميراث لا نجد لها مثيلاً في قوانيننا».

القوانين المستحدثة

ثم إن القوانين المستحدثة لدى الغرب التي ساوى بعضها مؤخراً في الميراث بين الرجل والمرأة جعل عليها من الأعباء والمسؤوليات مثل ما على الرجل، وفي بعض الأحيان ما يفوقه؛ مما تسبب للمرأة في تعاسة وشقاء كانت في غنى عنه، وربما يكون هذا الأمر منطقياً إذا ساووا بينهما في الميراث كما في الأعباء والمسؤوليات.. يقول الأستاذ مصطفى السباعي: «أما أن نعفي المرأة من كل عبء مالي ومن كل سعي للإنفاق على نفسها وأولادها ونلزم الرجل وحده، ثم نعطيها مثل نصيبه في الميراث فهذا ليس أمراً منطقياً مقبولاً في شريعة العدالة». إنه لا مجال للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث إلا بعد مطالبتها بمساواتها في الأعباء والواجبات، إنها فلسفة متكاملة، فلا بد من الأخذ بها كلها أو تركها كلها. على أننا نفترض هذا الفرض مع الذين يناقشون أحكام الله، وإلا فشرع الله لا يقبل المساومة أو النقاش {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (الأنبياء: ٢٣).

ولكن وإن طبقت هذه الفلسفة فستكلف المرأة من المشقة ما ينبو عنه كاهلها، وتضيق به ذرعاً، ولاسيما وهي مختصة دون الرجل بالحمل والولادة والإرضاع والتربية والاهتمام بشؤون البيت والأولاد؛ فيا لرحمة الإسلام بالمرأة! ويا لقسوة المتشدقين بالمساواة عليها!



الحرب على الثوابت والممانعة المجتمعية

كتب: وائل رمضان

لم أتعجب كثيرًا من موقف د. سعد الدين الهلالي من مسألة الميراث التي تعدّ من المسائل قطعية الثبوت في دين الله تعالى، فلا شك أن مثل هذه النماذج تتكرر في كل عصر، وتجدها هي تمامًا بتمام، ولكن العجب حقًا في حجم الممانعة المجتمعية التي واجهتها تصريحات الهلالي، ولا شك أن هذا بشير خير فما زال في الأمة أمل، وما زال في الأمة رجال، وما زالت لهذه الثوابت هيبة ومكانة في نفوسهم.

فالممانعة المجتمعية حائط الصد الأساس في الحفاظ على الثوابت الدينية والأخلاقية أمام الهجوم الانحلالي التغريبي الهادف إلى سلخ الأمة من دينها وأخلاقها؛ وضعف هذه الممانعة أو انعدامها سبب رئيس في تغيُّر صورة المجتمعات الإسلامية وحصول التناقض الواضح بين حقيقة الإسلام وواقع تلك المجتمعات.

والممانعة كما يعرفها د. محمد السعيدي في كتابه: (الممانعة المجتمعية تأصيل فكري للمفهوم والوسائل) تعني اقتصار المجتمع على دينه و بيئته وتاريخه ومقدرات أرضه ولغته في إنتاج آدابه وأخلاقه ورؤاه وعباداته وعاداته وأعرافه، ويلزم من هذا الاقتصار: رفض المجتمع تبني كل أدب أو رؤية أو خُلُق أو عبادة أو عادة أو عرف ليس نتاجا لدينه وبيئته وتاريخه ومقدرات أرضه ولغته.

وحين نجد أن المجتمع قد تأثر بثقافة ما تناقض أصوله وثوابته، فهذا يعني أن هناك نقطة ضعف في تفاعل المجتمع مع دينه أو تاريخه أو بيئته وسائر الأصول المكونة لقيمه، ومن نقطة الضعف تلك تنفذ إلى المجتمع أشكالٌ مختلفة من القيم الدخيلة سوف تؤدي كثرتها إلى انحراف هذا المجتمع عن الصورة المثلى للمجتمع المسلم، وسينساق وراء الهدامين، وسيتأثر ولا شك بأساليبهم في الدس والتزييف والهدم والتخريب، وهي أساليب لا يقتصر شرها على بلد دون بلد، فهي تعم بلاد المسلمين عامَّة.

ولا شك أن لضعف الممانعة المجتمعية أسباب عدة أهمها، جهل أبناء المسلمين بإسلامهم وبدينهم - والجاهل عدو نفسه، ومن جهل شيئاً عاداه -، كذلك من الأسباب عدم « تحصين « الشباب أمام الغزو الفكري الهائل الذي يتعرضون له، وتركهم عرضة لهذا الطوفان الهائل من الشبهات والشهوات دون حماية ووقاية، كذلك من الأسباب تمكن المنحرفين من بعض وسائل الإعلام، وفتحها لهم، وجعلها بين أيديهم، فصار أبناء المسلمين يعيشون ذلك الغزو وأدواته وجنوده في كل لحظة من ليل أو نهار، ومن أهم أسباب ضعف الممانعة المجتمعية التضييق على دعاة الإسلام ورجاله أصحاب المنهج والفكر المعتدل، أنصار الثوابت الأصيلة، والحيلولة بينهم وبين التأثير في عقول وقلوب المسلمين، وإغلاق منافذ التوجيه، ومنابر التأثير، وأدوات الاتصال، في وجوههم!

من هنا فإن السعي إلى إيجاد ممانعة مجتمعية حقيقية لابد أن يكون شاغل الدعاة والمصلحين، وأن يتحركوا على القاعدة العريضة للمجتمع من بسطاء ونخب على السواء، وبكل الوسائل والسبل الممكنة والمتاحة، سواء بالاتصال المباشر، أم من خلال الخطاب الإعلامي المنضبط والمؤثر، أم بالوجود السياسي إن أتيح وتيسر، فمهمة الدعاة والمصلحين تقديم مفاهيم الدين نقية خالية من الانحراف العقدي أو التطبيقي ومبسطة ليفهمها الرجل البسيط والمتعلم على حد سواء.

والمسلمون في هذا العصر - ولاسيما الشباب منهم - بحاجة ماسة إلى توثيق صلتهم بربهم، وبإسلامهم، وبقرآنهم، إنهم بحاجة إلى تذكيرهم المستمر بأنفسهم، وبأهدافهم، وبوسائلهم، وتعريفهم على واجبهم تجاه أنفسهم وتجاه إخوانهم المسلمين، وتجاه البشرية القلقة الضائعة المعذبة التي تنظر لهم، وتنتظر ما عندهم من علاج. إن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى تعريفهم على الأسس التي يوجدونها، والمرتكزات التي يقيمونها، والمنطلقات التي ينطلقون منها، والبواعث التي يتحركون من خلالها، و (الثوابت) التي يلحظونها ويستحضرونها، ويصدرون عنها في كل لحظة، وفي كل لفظة، وفي كل خطوة، وفي كل خاطرة أو هاجس في ليل أو نهار، إنهم بحاجة ماسة لمعرفة هذه (الثوابت) واستمرار تذكرها، ودوام استحضارها، لما يوجهه أعداء الإسلام في أساليبهم المختلفة لإزالة هذه (الثوابت) من تصور المسلمين، أو زعزعة ثقتهم بها.

أوراق بحثية(٢)

حِفْظُ حُقوقِ المرأةِ في القرآن سورة النساء أنموذجًا

كتب: الحضرمي أحمد الطلبة
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

استكمالاً لما بدأنا الحديث عنه في هذا الموضوع حيث ذكرنا أن القرآن جاء ليؤسِّس مجتمعًا متكاملًا منسجمًا، يسوده التديّن الصحيح المنضبط، ويسوسه الشرع الحكيم، ومن أجل تكريس مفهوم المجتمع الديني المتكامل بيَّن الشارع الحكيم الحقوق والواجبات التي يلتزم بها كلُّ فرد تجاه صاحبه، وببيان هذه الحقوق والواجبات يتمكن النظام من الهيمنة على حياة الأفراد لتوجيههم إلى الطريق السليم في نيل الحقوق ومنحها؛ وذلك وفق الضوابط التي تخدم مقصد الشرع المنزّل من تشريع الأحكام ووضع الحدود. وتكلمنا عن حقوق المرأة في حال الحياة واليوم نتكلم عن حقوقها في حال الوفاة.

الحقوق المالية عند الموت

هذا فيما يتعلق بالحقوق المالية في حالة الحياة، أما ما يتعلق بالحقوق المالية في حالة الموت؛ فإن وصية الله -عز وجل- المذكورة في السورة لم تهمل المرأة، بل فرضت لها حقها كزوجة وكأم وكأخت، قال -تعالى-: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

وهذه الآية نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها: أم كجة وثلاث بنات له منها؛ فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه: سويد وعرفجة؛ فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير، وإن كان الصغير ذكرا، وإنما كانوا يورثون الرجال، ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة؛ فجاءت أم كجة؛ فقالت: يا رسول الله، إن أوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وأنا امرأته، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالا حسنا، وهو عند سويد وعرفجة، ولم يعطياني ولا بناته شيئا،

وصية الله -عز وجل- المذكورة في السورة لم تهمل المرأة، بل فرضت لها حقها كزوجة وكأم وكأخت، قال -تعالى-: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

شدَّد الفقهاء في نكاح اليتيمة، واشترطوا فيه شروطًا ليست في غيرها؛ فاشترطوا في تزويجها بلوغ عشر سنين وميلها للرجال، وإذنها بالقول، ومشاورتها ومشاورة القاضي

وهن في حجري، لا يطعمن ولا يسقين؛ فدعاهما رسول اللهﷺ؛ فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسا، ولا يحمل كلًا، ولا ينكي عدوًا؛ فأنزل الله -عز وجل-: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ إلخ، يعني: للذكور من أولاد الميت وأقربائه ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ من الميراث، ﴿وَلِلنِّسَاء﴾ وللإناث منهم ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾، أي: من المال، ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ منه ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيبا؛ فأثبت لهن الميراث، ولم يبين كم هو، فأرسل رسول اللهﷺ إلى سويد وعرفجة: «لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئا؛ فإن الله -تعالى- جعل لبناته نصيبا مما ترك، ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن»؛ فأنزل الله -تعالى-: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾ (النساء: ١١)؛ فلما نزلت أرسل رسول الله إلى سويد وعرفجة: أن ادفعا إلى أم كجة الثمن مما ترك وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال.

تدخّل القرآن

فعندما مُنع هؤلاء النسوة تدخَّل القرآن في تقرير حقهن، وأمر بصرفه، وسوَّى بينهن وبين الرجال في أصل الميراث للميت الذي اشتركوا في القرابة بدرجة واحدة، ثم عقب القرآن على ذلك بجعل الميراث وصية مفروضة، وحقًّا معلومًا لا ينسخ ولا يبدّل؛ فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١١).

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كان الميراث للولد، والوصية للوالدين والأقربين؛ فنسخ الله -عز وجل- من ذلك ما أحب؛ فجعل للولد الذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للوالدين السدسين، وجعل للزوج النصف أو الربع، وجعل للمرأة الربع أو الثمن».

حكمة الله -عزوجل

ولا يخفى على القارئ الكريم ما وصفت به هذه القسمة من الفرض وإرجاعها إلى حكمة الله -عز وجل- وكمال علمه وسعته؛ فهو الذي يعطي الحقوق بحسب الاستحقاق، وههنا مسألة مهمة، وهي أن الحق في الزكاة وفي غيرها يمنحه الشارع بمقتضى العدل والحكمة، ليس رديفا للمساواة؛ لأن المساواة لا تكون عدلا إلا إذا كانت بين متماثلين، لكنها تكون ظلما حين تكون بين متغايرين، والتغاير بين الذكر والأنثى في التركة راجع إلى طبيعة الالتزامات المنوطة بكل من الفريقين شرعا؛ فالرجل تجب عليه نفقة ابنته وزوجته وأخته؛ فمن المعقول إذا ورث أن يعطى له من المال بالقدر الذي يمكنه من أداء هذا الالتزام الشرعي، وقد فرض الله للمرأة حقًّا معلوما في التركة، إما على سبيل الوصية كما هو الواقع في هذه الآيات؛ فقوله -تعالى-: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ يعني: للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين، ثم ذكر نصيب الإناث من الأول؛ فقال: ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ يعني: البنات ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، وفي قوله -تعالى-: ﴿فَوْقَ﴾ قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله -تعالى-: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، والثاني: أنها بمعنى الزيادة. قال القاضي أبو يعلى: إنما نص على ما فوق الاثنتين والواحدة، ولم ينص على الاثنتين؛ لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثلث، كان لها مع الأنثى الثلث أولى.

وقوله -تعالى-: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ قال الزجاج: أبواه تثنية أَب وأبة، والأصل في الأم أن يقال لها: أبةٌ، ولكن استغنى عنها بأم، والكناية في قوله: ﴿لِأَبَوَيْهِ﴾ عن الميت وإن لم يجرِ له ذكر.

وقوله -تعالى-: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ أي: إذا لم يخلف غير أبوين؛ فثلث ماله لأمه، والباقي للأب، وإنما خصّ الأم بالذّكر لأنه لو اقتصر على قوله -تعالى-: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ ظنّ الظان أن المال يكون بينهما نصفين؛ فلما خصّها بالثلث دل على التفضيل.

وهكذا إلى آخر ما ذكر مما لو تتبعناه لخرج بنا عن موضوع الورقة؛ فمن الملاحظ أن تقرير حق المرأة والتأكيد عليه في هذا الباب، لم يخل منه جزء من هذه الآيات؛ وذلك لما تضمنته الآيات من قسمة وافية كافية، مستوعبة لحق المرأة المالي في الميت الذي يموت من أقاربها، أو ممن له علاقة حياتية بها كالزوج، فلا يمكن منعها حقها أو التحايل عليه؛ لأن القسمة جاءت من عند الله -سبحانه وتعالى-، ويتولى تنفيذها في الأغلب الأعمّ قضاة المسلمين، أو المحكمون من عدولهم؛ مما يجعل الحق خارجا عن محل النزاع.

مبادرة إطعام مليار جائع

المشاركون يتعهدون بتقديم ٢ مليار وجبة لإطعام الفقراء حول العالم

الكويت استضافت مؤتمر (إنسانية واحدة ضد الجوع)

متابعة: وائل رمضان

أطلقت الكويت يوم الإثنين الماضي ٢٦ نوفمبر ٢٠١٨، فاعليات مؤتمر (إنسانية واحدة ضد الجوع)، برعاية سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وقال وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار د.فهد العفاسي إننا «في افتتاح أعمال النسخة الثامنة من هذا المؤتمر الإنساني، نرسل من الكويت -مركز الإنسانية العالمي وبلد قائد العمل الإنساني- رسالة أمل وتفاؤل لملايين الأشخاص الذين يعانون جوعاً؛ جراء الكوارث الطبيعية والصراعات الدامية في مختلف أنحاء العالم، كما نوّه الوزير العفاسي، بالدور الرائد لسمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، في صياغة المنظومة الإنسانية الكويتية الشاملة التي تتكامل بها الجهود الرسمية والأهلية محليا وعالميا، مشيرا إلى حرص الكويت على دعم القضايا الإنسانية ومساندتها حول العالم، ومناصرة الكرامة الإنسانية والوقوف إلى جانب الفقراء والمنكوبين، دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو اللغة أو الجنس.

المؤسسات الخيرية الكويتية

أكد العفاسي على دور المؤسسات الخيرية الكويتية قائلاً: إن «للمؤسسات الخيرية الكويتية دورا كبيرا مع شركائها الدوليين في دعم مسيرة العمل الإنساني بمختلف دول العالم، وللمؤتمر أهمية في خدمة الإنسانية عبر مبادرة جمع إطعام مليار جائع حول العالم، وتوحيد جهود الإنسانية ضد تلك الظاهرة الخطيرة».

مواقف الكويت

وأوضح أن مواقف الكويت -على المستويين الرسمي والشعبي- تجلت عبر التاريخ الإنساني، مجسدة ملحمة إنسانية متميزة، ولا سيما في مجال العمل على تحسين الأوضاع المعيشية في المجتمعات الفقيرة وتقديم العون للمحتاجين واستقبال الوفود الإنسانية من دول العالم جميعها تعزيزا للقيم الإنسانية.

حاضنة العمل الإنساني

من جانبه، قال رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الدكتور عبدالله المعتوق، في كلمة: إن المؤتمر جاء ليؤكد أن الكويت هي حاضنة العمل الإنساني، ومصدر الخير والعطاء، ومقصد المجتمعات، لتسليط الضوء على واحدة من أخطر القضايا التي تهدد حياة ملايين الأشخاص حول العالم، ألا وهي قضية الجوع ومضاعفاتها الإنسانية المدمرة.

الخطر الأول

وأوضح المعتوق أن الجوع يعد الخطر الأول الذي يهدد حياة الإنسان وصحته، وفق الإحصاءات الأممية والمؤشرات العالمية لعام ٢٠١٨ التي تظهر زيادة مخيفة ومروعة في معدلات الجوع؛ إذ إن هناك أكثر من ٨٢١ مليون شخص حول العالم يعيشون في براثن هذه الآفة، بمعدل شخص واحد بين كل ٩ أشخاص لا يحصلون على ما يكفيهم من الغذاء.

وأضاف أن هناك نحو ١٥٠ مليون طفل دون سن الخامسة يعانون سوء التغذية معاناة مزمنة ويبدون في أحجام صغيرة للغاية أقرب للتقزم للسبب نفسه، فضلا عن أن الجوع سبب رئيس في عدد وفيات الرضع في العالم، ومصدر تهديد لحياة ملايين الأشخاص المتضررين جراء الكوارث الطبيعية والحروب المستعرة في بعض الدول.

شبح الجوع

وأشار إلى أنه أمام شبح الجوع الفتاك واستفحال آثاره، كان لابد أن يلتئم هذا الحشد الإنساني الرفيع تحت شعار (إنسانية واحدة ضد الجوع) ليتشارك في إطلاق مبادرة إطعام مليار جائع حول العالم.

من جانبه، قال الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية عبداللطيف الزياني: إن «ما حققته الكويت ومؤسساتها في مجال العمل الإنساني، وما اكتسبته من خبرة في هذا المجال المهم، ساهم في نيل ثقة الأمم المتحدة لبناء شراكة فاعلة ومؤثرة مع الكويت ومع منظماتها وجمعياتها الخيرية؛ فاستحقت لقب (مركز العمل الإنساني)، وتم اختيار أميرها قائدا للعمل الانساني».



العفاسي: للمؤسسات الخيرية الكويتية دورا كبيرا مع شركائها الدوليين في دعم مسيرة العمل الإنساني بمختلف دول العالم

المعتوق: المؤتمر جاء ليؤكد أن الكويت هي حاضنة العمل الإنساني، ومصدر الخير والعطاء، ومقصد المجتمعات

اطعام مليار جائع

وأضاف: إن «هذا المؤتمر الإنساني المهم (مبادرة إطعام مليار جائع في العالم)، يضيف إلى سجلها الناصع مبادرة إنسانية خيرة تستهدف توحيد الجهود لمكافحة الجوع في العالم وعلى مدى عام كامل».

الكويت دائما في المقدمة

من جهته، أوضح مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشراكات مع الشرق الأوسط ووسط آسيا (رشيد خاليكوف)، أن «الكويت دائما ما تكون في المقدمة للمساعدة في التخفيف من معاناة الناس المحتاجين»، مشيدا بجهود سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد وبدور دولة الكويت المعطاء في العمل الإنساني.

الجهود العالمية

وأضاف (خاليكوف): «على الرغم من كل الجهود العالمية للقضاء على الجوع يبقى السؤال: لماذا توجد أعداد كبيرة من البشر لا يزالون في حاجة إلى مساعدة أو يبقون جائعين؟».

وأشار إلى أن «هناك خمسة عيوب قاتلة تجعل هؤلاء متضررين من الجوع، وهي أنهم بعيدون عن الأنظار، وبعيدون عن الوصول إليهم، كما أنهم خارج حلقة الاهتمام وخارج نطاق الاهتمام، علاوة على معاناتهم من الفقر وقلة المال».

٢ مليار وجبة

وقد تعهد المشاركون في المؤتمر بتقديم حوالي ملياري وجبة لإطعام الفقراء حول العالم العام المقبل عبر ٣ ملايين برنامج ومشروع، يستفيد منها حوالي ١٠٣ ملايين شخص حول العالم، وأجمع المشاركون في ختام المؤتمر، على أهمية دعم مبادرة الهيئة (إطعام مليار جائع حول العالم) لتوفير الغذاء الضروري للمحتاجين بالمناطق الأشد احتياجا حول العالم.

توصيات المؤتمر

- ضرورة مواجهة الأمم جميعا والحضارات لظاهرة الجوع ومخاطرها، باعتبار الجوع قضية إنسانية أولية.
- تأكيد أهمية الشراكة وتبادل المعلومات في العمل الإنساني عموما، وفي إطار قضية مكافحة الجوع والقضاء عليه خصوصا.
- مطالبة المنظمات الإنسانية ولاسيما العاملة في ميدان الإغاثة بتشجيع العمل المؤسسي والميداني وفق آليات إغاثة عاجلة فعالة ومنتجة لآثارها المرغوبة.
- مناشدة المنظمات الدولية والإقليمية والجهات ذات الصلة في المناطق المختلفة من العالم، ببذل الجهود المكنة على المستوى المجتمعي والسياسي والتشريعي والأمني للحد من مسببات النزاعات والحيلولة دونها.
- دعوة الأطراف جميعها ذات الصلة في مناطق النزاع إلى احترام القانون الدولي الإنساني في هذا الشأن، ورعاية مبادئ العمل الإنساني العالمية، وعلى رأسها حماية العاملين في ميدان الإغاثة الإنسانية.
- تعزيز الاتجاه نحو المشاريع التنموية ذات العائد والأثر الأكثر استدامة على واقع المجتمعات، وعميق الشراكة بين المنظمات المهتمة بالشأن الإنساني والمسؤولية المجتمعية في هذا الإطار؛ بما يُسهم في تنمية المجتمعات المعرضة لخطر الجوع حاضرا أم مستقبلا.
- الحرص على الإبداع والابتكار في وسائل مكافحة الجوع، واستثمار التطور الهائل في المجال التكنولوجي والمعلوماتي، وفي وسائل التواصل الاجتماعي؛ لحشد جهود الأفراد والمنظمات باتجاه مكافحة الجوع، بكونه قضية إنسانية عالمية.
- تعميق الاستفادة من جهود بنوك الطعام المختلفة، والتوسع في فكرة الاتحاد بين بنوك الطعام الإقليمية والعالمية، على غرار (شبكة بنك الطعام العالمي)، و(اتحاد بنوك الطعام الإقليمية).
- مناشدة الدول والحكومات والمنظمات الإنسانية والهيئات ذات الصلة بالشأن الإنساني على مستوى العالم، والعمل على رفع الوعي تجاه ظاهرة الجوع، وتشجيع المبادرات الإنسانية التي تصب في هذا الاتجاه، وتقديم أوجه الدعم المادي والمعنوي جميعها للقائمين عليها.
- حث المنظمات المشاركة في المؤتمر وغيرها من المنظمات المهتمة بالشأن الإنساني وكذلك الهيئات والشركات الربحية -من منطلق مسؤوليتها المجتمعية- على المشاركة في تفعيل مبادرة (إطعام مليار جائع حول العالم).



مكافحة الجوع في الإسلام (١)

بواعثُ إيمانيَّةٌ وأخلاقيَّةٌ وواجباتٌ شرعيَّةٌ

كتب الشيخ: عبد الحق التركماني

تعدُّ مشكلة (الجوع) من أخطر المشكلات التي تواجه البشرية، وتسبِّب هلاكَ أعداد كبيرة منها كلَّ عام، وهي أخصُّ من مشكلة (الفقر)؛ فقد يكون الإنسان فقيرًا، لا يجد كثيرًا من الأسبابِ الضروريَّة والحاجيَّة للحياة الكريمة، لكنه يجد من الطعام والشراب ما به قوام حياته وديمومتها؛ لهذا فإن التركيز على مشكلة (الجوع) وحدها من الواجبات التي لها الأولوية، ومكافحته من حقوق الإنسان الضرورية؛ فلا غروَ أن يكون إطعام الجائعين من الأعمال الفاضلة التي حثَّ عليها الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام.

وتتابعت شرائعهم بالأمر بها، وبيان فضائلها، وتضمَّنت الشريعةُ الإسلامية من الأحكام والآداب التفصيلية في مكافحة الجوع والتخفيف عمَّن يعانون من وطأته، ما لا مثيل له في أيِّ شريعة سابقة، ولا قوانينَ حادثة، فقد جعلها الإسلام عملًا صالحًا من صُلْب الإيمان، ووضع الأحكام التي تشجِّع عليها، وأوردتْ من صنوف الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب ما يضمن استمراريتها في ضمير أتباعه وتصرفاتهم، وقد حاولتُ أن أُبرز في هذا المقال الموجز طرفًا من أحكام الإسلام ومحاسنه المتعلقة بإطعام الجائع، من خلال المباحث التالية، إطعام الجائع بباعثٍ إيمانيٍّ خالص، الإطعام إحسان وفضيلة، الإطعام حقٌ واجبٌ، تحريم التَّرفع والاستعلاء والمنِّ والأذى، لا تمييز على أساس الدِّين أو العرق أو اللون أو البلد، المساهمة بالقدر المستطاع ولو كان يسيرًا، ضمان جودة الطعام وصلاحيته، ومن الله -تعالى- أستمدُّ العون والتوفيق.

المبحث الأول: إطعام الجائع بباعثٍ إيمانيٍّ خالص

إطعام الجائع سلوك إنساني نبيل، تختلف بواعثه بحسب الأشخاص والأحوال والمقاصد، ويربِّي الإسلامُ أتباعه على أن يكون باعثه الرئيس والأساس هو قصد التعبُّد لله -تعالى- طاعة لأمره، وابتغاءً لرضاه، وسعيًا للسعادة الأبدية في الآخرة، وهذا أصل كليٌّ، ومبدأ عظيم في هذا الدِّين، يبنى عليه جميع النيات والأقوال والأعمال، ومنها هذا العمل؛ لأنه أيضًا لون من ألوان العبودية لله، وباب من أبواب طلب مرضاته -سبحانه وتعالى- ومن هنا فإن جميع النصوص التي وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة التي تحثُّ على الإحسان والصدقة وعمل الخير ابتغاء لمرضاة الله، تنطبق كلُّها على إطعام الجائع، لكونه صورةً من صور تلك الأعمال الصالحة.

قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾(البقرة: ٢٧٢)، قال البغويُّ (ت: ٥١٠) -رحمه الله-: «ما: لفظه نفيٌ، ومعناه نهيٌ، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله»، وقال -تعالى- في صفات عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨ - ٩)، قال ابن جرير الطبريُّ (ت: ٣١٠) -رحمه الله-: «يقول -تعالى ذِكْرُه-: يقولون: إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله، يعنون طلبَ رضا الله، والقُربة إليه».



ابتغاء مرضاة الله

دلَّتْ هاتان الآيتان، على أن ابتغاء مرضاة الله شرط في هذا العمل الصالح، وهذا الشرط لإخراجه من الأفعال العادية المحضة وجعله عبادةً، ينال المسلم بها الأجر والثواب عند ربِّه، وجاء هذا القيد في نصوص أخرى، ألصقُها بموضوعنا قول النبيِّ ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ». قال النووي (ت: ٦٧٦) -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: «فيه أن الأعمال بالنيات، وأنه إنما يثاب على عمله بنيَّته، وفيه أن الإنفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد به وجه الله -تعالى-، وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله -تعالى- صار طاعة ويثاب عليه».

إطعام الجائعين من الأعمال الفاضلة التي حثّ عليها الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام-، وتتابعت شرائعهم بالأمر بها، وبيان فضائلها

الأصل الاعتقادي

إن هذا الأصل الاعتقادي الديني ينبغي أن يحكم إرادةَ المسلم ومقاصده؛ فيستحضر في أعماله كلها نية التعبد لله، والإخلاص له، ويعلم أنه إنْ أشركَ مع هذه النية نوايا أخرى معارضة أو منافية لها فإن الله -تعالى- لا يقبل عمله، ويكون سعيه هباء، كما قال -تعالى-: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠).

إن كثيرًا من الناس تحبُّ نفوسُهم الظهورَ والمباهاةَ؛ فيقومون بأعمال خيرية بقصد الرياء والسمعة، وربما انضاف إلى ذلك مقاصد أخرى، ككسب ثقة الناس بما يحقق لهم مكاسب سياسية، كالفوز في الانتخابات، أو التغطية على الفساد المالي، أو التهرب من الضرائب، وغير ذلك من الآفات الموجودة في الأفراد والمجتمعات، والعلاج الناجع لذلك كلِّه، هو هذه التربية الإيمانية، التي تحصن النفس من السلوكيات غير اللائقة.

هكذا ينطلق المسلم في عمله الخيري، سواء بمساهماته الشخصية، أو من خلال العمل الجماعي في المنظمات والجمعيات الإغاثية إنه يستحضر نيَّة الإخلاص لله -تعالى-؛ فيبادر إلى مدِّ يد العون، بنفس طيبة، مسارعةٍ في الخير، لا تريد من الناس جزاءً ولا شكورًا.

المبحث الثاني: الإطعامُ إحسانٌ وفضيلةٌ

إن أفضل الأعمال ما كان باعثُه نابعًا من قلب الإنسان، بإرادة أصيلة من نفسه، وبتفاعل ذاتيٍّ مع محيطه؛ فالأعمال الخيرية لابُدَّ أن تعبِّر عن خيرية الإنسان؛ فيبادر إلى الإنفاق والمعونة بمحض رغبته في الخير، من غير إكراه ولا ضغوط اجتماعية، بل لما في داخله من الرحمة والشفقة، والعطف والحنان بالخلق أجمعين، كما قال رسول الله ﷺ: «الـراحـمون يرحمهم الرحـمنُ، ارحـموا مَنْ في الأرض يرحمْكم مَن في السماء».

أعلى درجات الإحسان

هذا أعلى درجات الإحسان وأفضل صورها، وهو مقصد أصيل من مقاصد الإسـلام، الذي يحبُّ أن ينساق الناس إلى الخير بمحض رغبتهم، وقد امتدح الله -تعالى- المؤمنين بـأن من صفاتهم أنهم: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١)، وهكذا يكون الخير سجَّيةً لهم فيداومون عليه، كما قال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

الباعث الاختياريّ

وإحياء هذا الباعث الاختياريِّ في داخل الإنسان وتقويتُه واستمراريَّته يحتاج إلى يقظة وبصيرة؛ لهذا جاءت النصوص الكثيرة في القرآن والسنة ترغِّب في أعمال الخير، وتحثُّ عليها، وتبيِّن فضلها، وأن الله -تعالى- يحبها ويرضاها، ويثيب القائمين عليها بحسن الجزاء يوم القيامة؛ فهي كفارة للذنوب، وزيادة في الحسنات، ورفع للدرجات.

القرآن الكريم

فمما في القرآن الكريم: قول الله -تعالى-: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

وقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، وقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الفجر: ١٨)، أي: ولا يحضُّ بعضُكم بعضًا على طعام المسكين.

وقوله -تعالى-: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾(البلد: ١١ - ١٨).



السنة النبوية

ومما في السنة النبوية: أنَّه كان من أول وصايا النبيِّ ﷺ حين دخل المدينة مهاجرًا، الأمر بإطعام الطعام؛ فقد قال عبد الله بن سَلَام وكان من يهود المدينة، فأسلم رضي الله عنه: لما قدم النبيُّ ﷺ انجفَلَ الناسُ عليه؛ فكنت فيمن انجفل؛ فلمَّا تبيَّنتُ وجهَه عرفتُ أنَّ وجهَه ليسَ بوجه كذَّاب؛ فكان أوَّلُ شيءٍ سمعته يقول: «أفشُوا السلامَ، وأطعموا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا والنَّاس نيامٌ؛ تدخلوا الجنةَ بسلام».

ومنه: قول رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العبادُ فيه إلَّا مَلَكان يَنْزلان، فيقول أحدُهما: اللهم اعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم اعْطِ ممسكًا تَلَفًا»، وقوله ﷺ: «قال الله -تعالى-: يا ابنَ آدمَ! أَنفقْ أُنفقْ عليكَ»، وقوله ﷺ: «يا ابن آدمَ! إنك إنْ تبذلِ الفضلَ خيرٌ لك، وإنْ تمسكه شرٌّ لَك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السُّفلَى»، وقوله ﷺ: «إنَّ في الجنة غُرفًا تُرَى ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورها»؛ فقام أعرابيٌّ فقال: لمَن هي يا رسول الله؟ قال: «لِمَنْ أطاب الكلامَ، وأطعمَ الطَّعام، وأدامَ الصيامَ، وصلَّى باللَّيل والنَّاسُ نيامٌ».

أيُّ الأعمال أفضل

وسُئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «إدخالُك السرورَ على مؤمن أشبَعْتَ جَوْعَتَهُ، أو كسوتَ عُرْيَهُ، أو قضيتَ له حاجةً»، وسأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ قال: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: «تُطعمُ الطعامَ، وتقرأُ السَّلامَ على مَن عرفتَ، ومَن لم تعرف». وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، علِّمني عملًا يُدخلني الجنَّةَ، فقال: «لئن كنتَ أقصرتَ الخطبة، لقد أعرضتَ المسألةَ: أعتق النسمةَ، وفكَّ الرقبة»؛ فقال: يا رسول الله، أوليستا بواحدة؟ قال: «لا، إنَّ عتق النَّسمة أن تفرد بعتقها، وفكُّ الرَّقبة أن تُعين في عتقها، والمنحة الوَكُوف، والفيء على ذي الرَّحم الظَّالم؛ فإنْ لم تطقْ ذلك؛ فأطعم الجائعَ، واسقِ الظمآنَ، وأمُرْ بالمعروف، وانْهَ عن المنكر؛ فإنْ لم تطقْ ذلك؛ فكفَّ لسانكَ إلا من الخير».

لا شكَّ أنَّ لهذه المعاني الإيمانية أكبرَ الأثر وأقواه في تحريك إرادة الخير عند المسلم برغبةٍ ذاتيَّةٍ، وشوق ومسارعة، يدفع نوازع الأنانية، والبخل، والكسل في النَّفس البشرية.



الأمانة العامة للأوقاف وربع قرن في مساعدة الفقراء

الملتقى الوقفي الخامس والعشرون

أقامت الأمانة العامة للأوقاف يوم الاثنين ١٩ نوفمبر ٢٠١٨ الملتقى الوقفي الخامس والعشرين، وقد جاء هذا الملتقى بعد مرور ربع قرن من مسيرة الأمانة في خدمة العمل الخيري، وفي كلمته التي ألقاها نيابة عن راعي الملتقى سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، قال وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، المستشار د. فهد العفاسي: إن الأمانة العامة للأوقاف ساهمت بحظ وافر في البذل والعطاء لمساعدة الفقراء والمعوزين والمنكوبين في شتى أنحاء العالم وليس في الكويت فحسب؛ بما يعزز موقع الكويت بوصفها مركزا إنسانيا عالميا من خلال صناديقها، ومشاريعها، ومصاريفها الوقفية، التي تعنى بالمساهمة في مجالات تنمية المجتمع، فضلا عن جهود الإغاثة للمنكوبين من كوارث الطبيعة والحروب في مختلف دول العالم بالتنسيق مع الجهات الرسمية والأهلية الكويتية.

إحياء سنة الوقف

وفي كلمته في افتتاح الملتقى أكد الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف محمد الجلاهمة، أن الأمانة العامة لديها الرغبة الأكيدة في الارتقاء بالدور الذي تزاوله في إحياء سنة الوقف، بوصفه أحد الأهداف الاستراتيجية منذ إنشائها، وترجمة هذا الهدف إلى مشاريع، وبرامج وقفية، وتنموية، تلبي احتياجات المستهدفين منها في جميع الأماكن وشتى الميادين، حافزها في ذلك إيمانها الأكيد بمسؤوليتها في الدفع بحركة التنمية، ووعيها الكبير بضرورة توفير احتياجات المجتمع الحالية والمستقبلية، وذلك في حدود شروط الواقفين، وبما يحقق المقاصد الشرعية للوقف، وتنمية المجتمع حضارياً وثقافياً واجتماعيًا.

وأوضح الجلاهمة أن الملتقى سعى لتسليط الضوء على تجربة الأمانة العامة للأوقاف، ودورها المميز في خدمة الوقف على مدار خمسة وعشرين عامًا، فضلا عن استعراض أثر الوقف في خدمة المجتمعات، فضلاً عن استعراضه لنماذج خيرية وتطوعية لبعض المشروعات الوقفية العالمية في كل من أوروبا وآسيا وإفريقيا.

أهمية الملتقيات السنوية

من جانبه أكد نائب الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف رئيس اللجنة التحضيرية للملتقى صقر السجاري أهمية الملتقيات السنوية التي تنظمها (الأمانة) في أنشطتها وإسهاماتها وإنجازاتها وإبرازها في مجال العمل الوقفي محليا وخارجيا.

وأضاف أن جميع الجلسات الحوارية للملتقى وندواته وحلقاته النقاشية سلطت الضوء على تجربة (الأمانة) ودورها في خدمة الوقف، كما استعرضت أثر الوقف في خدمة المجتمعات، وأوضح أنه تم استعراض نماذج خيرية وتطوعية عالمية ناجحة لبعض المشروعات الوقفية العالمية، مشيدا بدور المشاركين والضيوف من داخل الكويت وخارجها، الذين قدموا مشاركات فاعلة وتجارب عملية حقيقية، أسهمت في الإشراقات الحضارية وإبرازها للوقف في الكويت والعديد من دول العالم.

> **الجلاهمة: الأمانة لديها الرغبة الأكيدة في الارتقاء بالدور الذي تزاوله في إحياء سنة الوقف، بوصفه أحد الأهداف الاستراتيجية منذ إنشائها**

تجربة عريقة

وقد انطلقت فعاليات الندوة الأولى من الملتقى، وشملت الجلسة أربع محاضرات، المحاضرة الأولى جاءت بعنوان: (ملف التنسيق الدولي)، وألقتها السيدة كواكب الملحم -مدير إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية-، وبينت فيها التنسيق الدولي بين البلدان الإسلامية في مجال الوقف، وقالت فيها: منذ نشأتها اهتمت الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت بإحياء سنة الوقف على الصعيدين المحلي والدولي، وقد طرحت الأمانة ضمن هذا الخط الاهتمام بالبعد الدولي للأوقاف من خلال تضمينه بمنهج واضح وصريح في استراتيجيتها؛ حيث تبنت هذا التوجه، وحددت له جملة من السياسات والأهداف، وأدرجته ضمن نشاطاتها العامة. وأكدت الملحم أن المتتبع لتجربة الأمانة يجد أن اهتمامها بالبعد الدولي للأوقاف قد تفاعل تفاعلا طبيعيا مع الجهود التي قام بها البنك الإسلامي للتنمية، والمجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية، لتكوّن في المحصلة توجها بارزا استطاع أن يجعل من إحياء سنة الوقف أحد العلامات المميزة في التجربة الوقفية المعاصرة، واضطلعت فيه الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت بالدور المتقدم.



وبينت الملحم أن الأمانة عملت على دعوة البلدان الإسلامية من خلال المجلس التنفيذي لوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى تبني اقتراح (منهجية عمل الدولة المنسقة) التي ينص على اختيار إحدى الدول الإسلامية، لتقوم بدور المنسق والمسؤول عن قضية من القضايا الكبرى، التي تكون مثار اهتمام العالم الإسلامي، وتدخل ضمن مسؤوليات قطاع الأوقاف والشؤون الإسلامية بدول العالم الإسلامي، كقضايا الوقف والزكاة والدعوة الإسلامية. وقد تبنى هذا المقترح المجلس في اجتماعه المنعقد بالمملكة الأردنية الهاشمية في أكتوبر ١٩٩٦م.

التنسيق بين الدول الإسلامية

وأضافت الملحم أن الأمانة انطلقت في ملف العمل الوقفي بين الدول الإسلامية من خلال العمل على تفعيل وثيقة (الرؤية الاستراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف) التي أشرنا إليها سابقًا وفق منهجية تعتمد على محورين أساسيين:

الأولى: الشراكة مع المؤسسات الرسمية والأهلية العلاقة والاهتمام بموضوع الوقف ذاته.

والثاني: تحويل استراتيجية التنسيق بين الدول الإسلامية في مجال الوقف إلى مشاريع عملية تحقق الأهداف التي تم وضعها، وعلى هذا الأساس تم تنفيذ جملة من المشاريع العملية عرفت بمشاريع التنسيق.

وتوزعت مشاريع ملف التنسيق بين الدول الإسلامية في مجال لوقف على ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول : تشجيع البحث العلمي في موضوع الوقف.

المحور الثاني : تطوير القدرات الإدارية والمالية للمؤسسات العاملة في قطاع الأوقاف.

المحور الثالث : إشاعة ثقافة الوقف لدى الجمهور المتخصص والواسع.

العفاسي: الأمانة ساهمت بحظ وافر في البذل والعطاء لمساعدة الفقراء والمعوزين والمنكوبين في شتى أنحاء العالم وليس في الكويت فحسب

حصاد عشرين سنة

وأكدت الملحم على أن تجربة الأمانة (في مسارها العام) هي إحياء سنة الوقف، وأضافت أن هذه الاستراتيجية تمر من خلال قناتين رئيسيتين، الإحياء العلمي من ناحية أولى، والإحياء العملي من ناحية ثانية.

وأضافت أن حصاد عقدين من التنسيق الوقفي، فضلا عن إنجاز المشاريع المختلفة، نجاحات استراتيجية ثلاث:

- إعادة الاعتبار لدور المؤسسات الحضارية الإسلامية ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية.
- إحياء التكامل بين الدول الإسلامية.
- التركيز على مبدأ العمل الجماعي.

وعددت الملحم إنجازات مشروعات الدولة المنسقة خلال العشرين سنة الماضية (١٩٩٨-٢٠١٨م) في المشروعات التالية: مشروع (مداد) لنشر وتوزيع وترجمة الكتب والأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية في مجال الوقف، مشروع دعم طلبة الدراسات العليا في مجال الوقف، مشروع مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف، مشروع (مجلة أوقاف)، مشروع منتدى قضايا الوقف الفقهية، مشروع مدونة أحكام الوقف الفقهية، مشروع (نماء) لتنمية المؤسسات الوقفية، مشروع (قطاف) لنقل التجارب الوقفية وتبادلها، مشروع القانون الاسترشادي للوقف، مشروع كشافات أدبيات الأوقاف، مشروع مكنز علوم الوقف، مشروع قاموس مصطلحات الوقف، مشروع معجم تراجم أعلام الوقف، مشروع أطلس الأوقاف في العالم الإسلامي، مشروع مسابقة الكويت الدولية لتأليف قصص الأطفال، مشروع بنك المعلومات الوقفية.

إنجازات الأمانة

كما استعرض الملتقى في جلساته وندواته أبرز إنجازات الأمانة العامة للأوقاف ومشاريعها الوقفية والخيرية ومجالات عملها في خدمة الوقف ودورها في تنمية المجتمعات ومشاريعها الإغاثية محليا وعالميا؛ حيث ركزت الندوة الثانية للملتقى التي كانت ضمن المحور الثاني بعنوان: (الوقف، تاريخ وحضارة) على عرض وثائق الوقف بعنوان: (إشراقات تاريخية للوقف)، وأدارها الباحث في العمل الخيري صالح المسباح، وقدم خلالها أ. عبد الرحمن العقيل نماذج وقفية من المملكة العربية السعودية، وقدم د. حبيب الناميلتي نماذج وقفية من مملكة البحرين، بينما عرض د. عايد الجريد وثائق وقفية كويتية، ومن الجمهورية التركية قدم السيد صباح الدين أرسلان نماذج ووثائق بينما قدم أ. أحمد عبيد المنصوري صوراً من الوقف في الإمارات المتحدة، وانتهت الجلسة بمحاضرة للسيد فهد العبد الجليل بوثائق وقفية كويتية.


الجلاهمة يكرم الفرقان على هامش المؤتمر بدرع يتسلمه سكرتير التحرير وائل رمضان



معالم في السلفية (٤)

مصدر المنهج السلفي وسماته

كتبه: سامح بسيوني

المنهج السلفي -على ما بينا سابقًا- هو ذلك الطريق الذي سار عليه السلف الصالح في فهم الدين والعمل به والدعوة إليه وصولًا إلى الغاية التي خُلقنا من أجلها، وهى تحقيق العبودية لله -تعالى- ابتغاء مرضاته، وهذا الطريق - كأي طريق يسير عليه الإنسان ليصل إلى مبتغاه - له بداية محددة واضحة، وله قواعد موضوعة لابد من تطبيقها لضمان صحة الدخول إليه، وعليه من الإرشادات والعلامات التي يجب اتباعها لضمان استمرار السير الصحيح عليه؛ ولذا فلابد لنا من بيان معالم هذا الطريق حتى نتمكن من التعرف على المنهج السلفي حقيقة، وبيان معالمه يكون ببيان: مصدره، قواعده، ضوابطه، وسنشرع بإذن الله في توضيحها .

أولاً: سمات مصادر المنهج السلفي

المنهج السلفي منهج مستمد من أصول معصومة من الخطأ والزلل أو التعديل أو التغيير أو الخضوع للأهواء فأصوله ليست فكرًا بشريًا أو أصولًا مستمدة من حضارات تاريخية، وإنما هي وحى إلهي وهذه الأصول هي: القرآن الكريم، و السنة النبوية المطهرة، فقد قال النبي ﷺ: « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنتي» (حديث صحيح)، و قد تميز منهج الصحابة -رضوان الله عليهم- في تلقيهم لهذه النصوص المعصومة بأمرين هامين فارقوا بهما غيرهم، وتميزوا بهما عمن بعدهم وهما: التعظيم، التدقيق.

أولاً: التعظيم

أي تلقى النص القرآني من كلام الله -عز وجل- أو كلام النبي ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى بمبدأ (سمعنا وأطعنا) .سمعنا: علمًا وفهمًا لمراد الله ومراد رسوله ﷺ، وأطعنا: امتثالاً وعملاً لأمر الله وأمر رسوله؛ فقد كانوا -رضوان الله عليهم- إذا جاءهم الأمر من الله أو التوجيه من رسول الله ﷺ يبادرون بتنفيذه إن كان واضحًا لهم، كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة في وصف ما حدث في حادثة تحويل القبلة وتحريم الخمر، أو يستفسرون عما أشْكل عليهم فهمه، ثم يبادرون بالامتثال والعمل بمجرد فهم الأمر ولو كان به من المشقة ما به بلا تسويف ولا بحث عن مسوغات لعدم التنفيذ.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: « لما أنزل الله على رسوله ﷺ {لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}الآية، قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله ﷺ، كُلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها؛ فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، فلما فعلوا ذلك نسخها الله -تعالى-:{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} قال نعم،{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} قال نعم {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

المنهج السلفي منهج مستمد من أصول معصومة من الخطأ والزلل أو التعديل أو التغيير أو الخضوع للأهواء فأصوله ليست فكرًا بشريًا تاريخية، وإنما هي وحى إلهي

طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال نعم، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال نعم»، (وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بمعناه، وقال في كل ذلك: قد فعلت، بدل قوله نعم).

بركة مبدأ التعظيم

فكانت بركة مبدأ التعظيم عندهم بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، بالرغم من مشقة التكليف سببًا في نزول التيسير من الله -عز وجل- لهم وللأمة من خلفهم، وصار التعظيم لكتاب الله وسنة رسوله بالسمع (علمًا وفهمًا) والطاعة (امتثالاً وعملاً) من أعظم معالم هذا المنهج السلفي المبارك الذي يجلب التيسير على العباد في الدنيا، ويحقق لهم الفرح والفوز في الآخرة

ثانيًا: التدقيق

ونعني به ما كان من اهتمامهم -رضوان الله عليهم- بصحة النص المنسوب إلى النبيﷺ، لاسيما بعدما ظهر أهل البدع والأهواء واتسعت رقعة الدولة الإسلامية بعد موت النبي ﷺ وتفرق الصحابة في البلدان .

فالصحابةُ الكرامُ -رضوان الله عليهم- حملوا هذا المنهجَ بأمانة وإتقان لمن بعدهم فبلّغوهم مشافهة بكل قولٍ أو فعل أو تقرير للنبي ﷺ امتثالاً لأمره ﷺ لهم بذلك في قوله: «ألا فليُبَلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ»؛ حيث كانوا يحتاطون بشدة فى تبليغ ما سمعوه أو شاهدوه عن النبي ﷺ، وكانوا يتميزون -رضوان الله عليهم- بحفظ الصدر وقوة الحافظة مع وجود بعض التدوين القليل للحديث بغرض الإعانة على الحفظ في الصدور فقط، وظل الأمر كذلك إلى أخر عهد سيدنا عثمان -رضي الله عنه- .

الجرح التعديل

ثم بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- سنة ٣٥ هـ وظهور الفتن ظهر اهتمام الصحابة -رضوان الله عليهم- بالجرح والتعديل، كما قال ابن عباس -رضي الله عنه-: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرت أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب و الذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»، وظهر الاهتمام كذلك بعلوم الإسناد والعلل حتى انتهاء جيل الصحابة بموت أغلبهم سنة ٨٠ هـ تقريبًا نظرًا لانتشار الفتن وظهور الفِرَق وانتشار من تبقى من الصحابة في آفاق العالم الإسلامي، ومع هذا كان التدوين في هذه الفترة قليلاً؛ للاستغناء عنه بحفظ الصدور.

عصر التابعين

ثم جاء عصر التابعين (مِن سنة ٨٠ هـ حتى سنة ١٤٠ هـ) فظهر تدوين الحديث لزيادة ضبط الكتاب مع ضبط الصدر وخوفًا من ضياع الأحاديث ونسيانها، وكثرت رحلات العلماء من التابعين في طلب الحديث، وتم وضع جملة من قواعد ضبط الرواية وصحة الإسناد وصفاتِ الرواة و أسس التمييز بين الرواة العدول والرواة المجروحين والتحرّي عن عدالة الراوي أو فسقه حتى فيما لا يتعلق برواية الحديث مباشرة، و زاد الأمر

> **الصحابةُ الكرامُ -رضوان الله عليهم- حملوا هذا المنهجَ بأمانة وإتقان لمن بعدهم فبلّغوهم مشافهة بكل قولٍ أو فعل أو تقرير للنبي ﷺ امتثالاً لأمره**

إلى تأصيل قواعد نَقْد المتن وعدم الاهتمام بنقد السند فقط وكل ذلك خوفا من خطر انتشار الكذب والكَذَبَة ولاسيما في البلدان النائية عن مراكز العلم والعلماء.

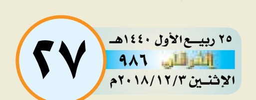
عصر أتباع التابعين

ثم جاء عصر أتباع التابعين (مِن سنة ١٤٠ هـ حتى ٢٠٠ هـ) فاكتملت قواعد الجرح والتعديل وعلوم نَقْد الأسانيد والمرويات، وبلغتْ العناية بها غايتها، وصار الاعتماد على ضبط الكتاب أهمَّ بكثير من ضبط الصدر حتى أصبح الترجيح بين كبار أئمة الضبط والرواية وعلماء الحديث فيما بينهم بضبط الكتاب؛ فانتشرت مجالس الإملاء منذ هذا الوقت.

القرن الهجري الثالث

ثم جاء القرن الهجري الثالث (مِن ٢٠٠ هـ حتى ٣٠٠ هـ)؛ فبلغ علم الحديث قمته في النقل والنقد؛ فتميزت هذه الفترة بعدم الخوف من ضياع السُّنة، والتأكيد على المحافظة عليها ونشر الصحيح منها، مع العناية بترتيبها بحسب الغاية منها؛ فأُلِّفتْ الكتب الستة والمسانيد والمصنفات وسائر كتب الحديث الأمّهات، وانتهت بعد ذلك الروايات الشفهية، وبدأ الرواة بعد ذلك لا يروون إلا المرويات الموجودة في الكتب بل لم يَعُد يُسمَح لأيّ راوٍ أن يَدّعي وجودَ روايةٍ شفهيّةٍ لديه غير مكتوبة في أحد كتب الحديث، وصار الحكم على المرويات دقيقًا طبقًا لقواعد علوم المصطلح والجرح والتعديل وأنواع التلقي والرواية وغيرها التي اكتملت في تلك الفترة.

فصار بذلك علم الحديث علمًا مميزًا لهذه الأمة، حفظ الله به السنة النبوية من الضياع، كما تكفل -سبحانه وتعالى- بحفظ القرآن من التحريف في قوله -تعالى-: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وصار علم مصطلح الحديث بقواعده وضوابطه مدققًا ومميزًا للسنة النبوية الصحيحة.



البداية الصحيحة للإصلاح

كتب: محمد آدم أحمد علي

البداية الصحيحة لأي إصلاح هي من حيث أراد الله أن نبدأ، نبدأ من حيث بدأ الرسول ﷺ، نبدأ بالتوحيد؛ لأنه المدخل والمبدأ والأساس والركيزة والحصن، وما أرسل من رسول إلا لتحقيق الوحدانية وإفراد الله بالعبادة، قال الله -تعالى-: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}(الأنبياء: ٢٥)، وقال الله -تعالى-: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}(النحل: ٣٦).

إن أول نداء وجهه الله -تعالى- لرسله -عليهم السلام- هو أن ينادوا بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، وقد امتثلوا لذلك؛ لأن الأساس هو عقيدة التوحيد، وأي شيء بني من غير أساس مآله الفشل لا محالة، وما بني على أساس قوي ومتين وصلب يدوم، ويكون بعيدا عن الانهيار والسقوط، قال الله -تعالى-: {أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله خير، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فأنهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين}(التوبة: ١٠٩).

كلمة التوحيد

إن هذه الكلمة -كلمة التوحيد- هي المدخل والأساس والمنطلق لتوحيد المسلمين، وجمع كلمتهم، ولم شملهم ليعيد بذلك التأريخ نفسه؛ حيث كان العرب قبل البعثة كما هم اليوم شرازمة متفرقين، قبائل متناحرة، لا وزن لها ولا قيمة في أعين الأمم الأخرى، يعيش بعضهم تحت مظلة أحد القطبين أو الدولتين العظميين في ذلك الوقت فارس والروم، حتى بعث الله نبينا محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، داعيا إلى التوحيد، وبهذه الكلمة تم توحيد العرب بعد الفرقة، وبها تآلفت القلوب بعد التمزق، وصاروا أمة واحدة، ذات هدف واحد وعقيدة واحدة، العقيدة التي صارت مصدر عزهم وقوتهم، وبسببها استبدلوا الفرقة بالوحدة، والذلة بالعزة، والضعف بالقوة؛ فهزموا الدولتين العظميين في ذاك الزمن، وسادوا العالم بهذه العقيدة، ورضي الله عن الفاروق عمر بن الخطاب عندما قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

مناط وجودنا

لمّا كانت العقيدة مناط وجودنا؛ لأننا من أجلها خلقنا: قال الله -تعالى-: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}(الذاريات: ٥٦)، {وما أمروا إلا ليعبد الله مخلصين له الدين}(البينة: ٥)، {فاعبد الله مخلصا له الدين}(الزمر: ٢)؛ فإننا ندعو إلى العقيدة أولا؛ لأنها الركيزة التي يبنى عليها كيان المجتمع الإسلامي، بها تتم وحدة هذا المجتمع، وبها يرقى ويصعد إلى أعلى القمم، قمم المجد والسؤدد، وبها يتحقق الهدف، ونصل إلى الغاية، لتنعم البشرية جمعاء بالخير والأمن والطمأنينة كما كان بالأمس، عندما حقق الأولون العبودية الحقة فسادوا بها معظم أرجاء العالم، ناشرين العدل والمساواة.

وقف الأمراض الفتاكة

ندعو إلى العقيدة أولا لوقف الأمراض الفتاكة التي عصفت بالأمة الإسلامية وهي: الإفراط، والتفريط، والغلو، والتقصير، تلك الأمراض

إننا ندعو إلى العقيدة أولا؛ لأنها الركيزة التي يبنى عليها كيان المجتمع الإسلامي، بها تتم وحدته، وبها يرقى ويصعد إلى أعلى القمم

التي عصفت بالأمة مهددة كيانها ووجودها.
إن بعض المسلمين اليوم ارتكسوا للحال نفسه، التي كان عليها من كان قبلهم من الأمم من: غلو، وإفراط، وتفريط، وتقصير، ابتلوا بمجاوزة الحد في كل شيء، واتباع الهوى (هوى النفس)، مع أن الله -سبحانه وتعالى- حذر من هذا، فقال -تعالى-: ﴿ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (طه: ٨١)، وقوله -تعالى-: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾(النساء:١٧١).

التشبه باليهود والنصارى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط، أو تفريط، وضاهاهم في ذلك؛ فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام، الذين خرجوا في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلهم حين خرجوا على المسلمين، وكان قتالهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك من عشرة أوجه في الصحاح والمسانيد وغير ذلك، وكذلك من غلا في دينه من القدرية والجهمية والمعتزلة.
وقال أيضا: فإذا كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة؛ فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذا الزمان قد يمرق أيضا من الإسلام، وذلك بأسباب منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه؛ حيث قال الله -تعالى-: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾(النساء: ١٧١).

صراط الله المستقيم

قال الله -تعالى-: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(الأنعام: ١٥٣)، الله -سبحانه وتعالى- بين ووضح في الآية (١٥٣) من سورة الأنعام لعباده، بأن صراط الله الموصل إليه واضح لا اعوجاج فيه، لا يزيغ عنه إلا هالك؛ فليتبعه وليسر إليه، ويسير به كل من أراد الفوز والفلاح؛ وذلك بالعمل بكل ما أمر به الله، والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر، ومن ضل عن هذا الصراط وهذا الطريق فليس ثم إلا طرقا توصل إلى الجحيم، وتقود إلى سوء المصير والعذاب الأليم .

مواقف وعِبَر مِن سيرة عمر بن عبد العَزيز -رحمه الله-(١)

كتب: د. أحمد حمدي

في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان -أحد خلفاء بني أمية- تولى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم، وكان الوليد مِن أبناء عبد الملك بن مروان، واستمر الحجاج بن يوسف الثقفي واليًا على العراق (الكوفة والبصرة) في عهده، وكان في عهده مِن الجرأة على القتل والجور والظلم والفساد، ومع ذلك لم يترك عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة في عهده حتى لا يُتّهم بأنه أحد أركان نظامه أو أنه معاون للظالمين أو راضٍ ومقرّ بجوره مع بقائه في الولاية.
أرسل إليه الوليد عام ٨٨هـ بإرادته بتوسعه مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- مِن جوانبه كلها، مع إدخال الحجرات، وقبر النبي -صلى الله عليه وسلم- داخل المسجد، وإعادة عمارته وتشييده، وإعلاء أعمدته وسقفه مع الفنون المعمارية التي كانت مشهوره في بناء المساجد والقصور في عهد بني أمية؛ فاستشار عمر بن عبد العزيز العلماء والفقهاء في المدينة فجمع عشرة منهم؛ وهذا مِن الأهمية بمكانٍ أن تُقرّب العلماء وتستشيرهم ولا تنفرد بالرأي؛ فلا خاب مَن استخار الخالق واستشار المخلوق، قال -تعالى-: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨)، وقال -تعالى-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران:١٥٩)، فأجمعوا على عدم جواز إدخال القبر في المسجد، وأنه قد حدثت توسعة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان -رضي الله عنهما- مِن الجهات كلها إلا جهة القبر لنهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن اتخاذ القبور مساجد، وخطورة أن يكون ذلك ذريعة للشرك أو الغلو في الصالحين والأنبياء.
وكان رأيهم كذلك: بقاء بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم- مِن العريش والخوص والطوب اللبن مِن البساطة حتى يظل الناس عبْر تاريخ الزمان عند زيارة المسجد النبوي مِن كل بقاع الدنيا يتذكرون زهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعيشته، فلا يغترون بزخرف الدنيا وزينتها، وحضارتها وعمارتها، ويرغبون في الآخرة، فأرسل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى الوليد برأي العلماء بالرفض، فأصر الوليد وأرسل إليه في تنفيذ الأمر والالتزام به.
وهنا موقف آخر مِن مواقف السياسة الشرعية: هل امتنع عمر بن عبد العزيز أو ترك الولاية أم أنه خضع لهذه المخالفة الشرعية مع إعلانه لإنكار ذلك بلسانه، وعجزه عن منعه أو تغييره بيده؟ فكان ذلك بمثابة ارتكاب أدنى المفسدتين دفعًا لأعلاهما؛ فإذا ترك ولاية المدينة حدثتْ هذه المفسدة، وزيادة عليها أنه يتولى شؤون الناس في المدينة مَن يعين على الظلم والجور والفساد، فكان هذا التصرف مِن قبيل الموازنات بيْن المصالح والمفاسد، وموازين القدرة والعجز، وفقه المآلات.

تناقضات الملحدين وتيه البُعد عن الوحي

مركز سلف للبحوث والدراسات

لم تشهد البشرية في المعتقدات تناقضًا مع الذات كتناقض من ينكر وجودَ الخالق -سبحانه-؛ إذ في إنكاره مكابرة للعقل ودفع للحس المشاهد، هذا مع ما يؤدي إليه هذا القول من صراع مع الكائنات التي تشهد بخلاف ما تقول بلسان حالها ومقالها، ومن العجب أن القرآن لم يناقش قضية الإلحاد؛ لأنها لا تستند إلى حجة تستحقّ الرد، وقد اكتفى رسل الله باستنكار الشك في وحدانية الله -سبحانه وتعالى-: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}(إبراهيم: ١٠).

ولأن البشرية شهدت في بعض عصورها انحطاطًا كبيرًا على المستويات جميعها؛ فقد كان من بين مظاهر هذا الانحطاط الأخلاقي والسلوكي والعقلي ظاهرة الإلحاد المقيتة، التي تبنتها أجيال سئمت الحياة، وفارقت الفطرة بعد مولدها، واستمرأت الخروج على ما تقتضيه خلقة الإنسان وضعفه؛ فكانوا رمزًا للانحراف النفسيِّ والتردّي العقلي؛ فرفعوا عقيرتهم بإنكار الخالق، ولم يتبيَّنوا خلل دعواهم، بل ألجأهم الحماس للفكرة وأعماهم العداء للحق عن التفكير مثنى وفرادى في حقيقة ما يقولون؛ فوقعوا في شقاء وتناقض.

الصراع مع الفطرة السليمة

وكان أول ذلك هو الصراع مع الفطرة السليمة؛ فالفطرة تقول بوجود خالق للكون، والإلحاد يقول بعدم وجوده! وهنا يقع الملحد في تناقض مع النفس؛ وذلك أن الإنسان بطبيعته مفكّر، ويعتمد التسلسل للأحداث، فجميع المنتجات والمستجدات في حياة الإنسان يؤمن بأنها لم تكن وليدة صدفة ولا نشأت من عدم؛ فكيف يقبل أن يكون كائن بحجم الكون وسمواته وأرضه ونباته وساكنيه جاء من عدم، ونشأ بصدفة؟! وكيف جاءت هذه الصدفة المخالفة للعقل والمنطق؟ إن الكون بما فيه أعقد وأكثر إحكاما من الهواتف والطائرات؛ فكيف قَبِل أن يكون على هذا النحو من الفوضى؟؛ فهذا أوّل تناقض بينه وبين فطرته؛ فالأخيرة عندها قاعدة الخلق كدليل على وجود الخالق مسلَّمة تبدأ من هذا الأصل إلى غاية وصولها إلى تلك المخترعاتِ التي تشاهدها ويستعملها الإنسان في قضاء حاجاته اليوميّة.

ثم الفكرة تقول بوجود أولية لكل حادث ونهاية له، والوجود -بما فيه الإنسان- يشهد الفناء في كل يوم بالموت، كما يشهد الحدوث بالحياة، وهذه الثنائية تلزم الفكرة بحقيقة افتقار الإنسان لغيره، وأن ثمة مدبِّرًا وخالقًا لا يمكن تجاهله، وقد حاول هوكينج أن ينقذ الملاحدة فيدَّعي أن وجود الجاذبية يفسر وجود الكون، وهذا هراء بكل ما تعنيه كلمة هراء من معنى؛ فالجاذبية فرع عن وجود الزمان والمكان؛ فمن خلق الزمان والمكان؟!

الجاذبية ليست شيئًا وجوديًا

وثانيًا: الجاذبية ليست شيئًا وجوديًا، بل هي وصف لعلاقة الكائنات فيما بينهم؛ فهي فرع عن وجودهم، والقوانين تفسِّر ما يقع ولا تخلُق؛ فمثلًا قوانين الميكانيكا، تشرح عمل السيارة ولكن لا تصنعها، قوانين الرياضيات تشرح كون رصيدي في البنك يزيد ولكن لا تجعل هذا الرصيد يزيد دون تصرف من فاعل حي.

وأما لجوؤهم إلى ميكانيكا الكمّ وقولهم: إن في ميكانيكا الكمّ الشيء يأتي من اللاشيء، فاللاشيء الفيزيائي هو شيء في الحقيقة، ولكنه لا يحظى بالطاقة الكافية، فهو دون ثابت بلانك؛ فمن أين جاء هذا الشيء الفيزيائي الذي دون ثابت بلانك؟! لا زالت السببية قائمة بقوة.

ومن ناحية أخرى: يتناقض الملحد مع الفطرة في إنكاره لوجود الخير والشر، واعتبارهما مفاهيم تواضع عليها البشر، ويمكن تعديلها، وهو ما يجعل الفكرة تعاني حيرة علمية وأخلاقية، كما تعاني ضبابية في التحسين والتقبيح؛ فالملحد لا يمكن أن يقنع الملحد بمراده؛ إذ لكل منهما فهم للخير والشر يختلف عن فهم الآخر.

عَدُّ الأديان سبب الحروب

ومن تناقضاتهم كذلك: عد الأديان سبب الحروب؛ لأن أغلب الحروب في العالم سببها دوافع دينية على حد زعمهم، والسؤال المحوري: هل بمجرد غياب الدين عن حياة الناس وإنكارهم لوجود الخالق يصبح العالم في رخاء وأمن وتسوده العافية؟!

لا أظن عاقلا يمكن أن يجازف ويجيب عن هذا السؤال بـ: نعم؛ فليس المتدينون من صنعوا القنابل المدمرة، ولا من جعلوا البشر حقول تجارب، ولا تعاملوا مع الإنسان على أساس أنه مثل الجهاز أو الفأر يمكن تحطيمه وإجراء تجارب عليه حيًّا كان أو ميّتا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى؛ فإن من تناقضات الملحدين وعدم جديتهم خلطهم بين الأديان؛ فالأديان وإن اشتركت في الإيمان بالخالق، لكنها لا تقوم كلها على أساس الإيمان الصحيح الذي يثمر عبادًا صالحين قادرين على إدارة الحياة إدارة سليمة.

تفسيرُهم بالعامل الواحد

ومن تناقضهم: تفسيرُهم بالعامل الواحد؛ فالقبائل العربية كانت تتقاتل قبل الإسلام، وكانت على شرِّ حال، ولم تكن على دين، وكثير من الحروب تقع بين أفراد من البشر لا يكون الدين مؤثرا فيها، ولا أحد عواملها، لكن يصرّ الملاحدة على إقحام الدين فيها وجعله سببًا من أسبابها.

من تناقضات الملحدين عد الأديان سبب الحروب؛ لأن أغلب الحروب في العالم سببها دوافع دينية على حد زعمهم

معضلة الإلحاد

وبالجملة: فمعضلة الإلحاد تكمن في التناقض مع الذات، والربط الخطأ بين الأشياء، مع المكابرة الصريحة للعقل والفطرة، وقد كان الوحي مدركًا لخطر هذا التصور ودوافعه وكيفية تسربه لأصحابه؛ فأجاب عنه بكشف خفايا نفوس أهله، ولم يتكلّف العناء في إبطال دعواهم؛ لظهورها، قال -سبحانه-: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١)، وقال -سبحانه-: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥، ٣٦).

محاجة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام

ولعل في محاجة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لمن أنكر الخالق الذي يحيي ويميت، ونسب ذلك لنفسه، أكبر دليل على تهافت الدعوى وبعدها عن منطق العقل؛ إذ تنقض بأوضح دليل وأقربه؛ مما لا يفوت على صاحب الدعوى نفسه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

الملحد ضعيف الحجة، متناقض في الدعوى، لا يمكنه الثبات على قول؛ لأن مبنى مذهبه على الشك واتباع الظن والكفر بالخالق

خلاصة القصة

قال نمرود لإبراهيم: أنا أحيي وأميت، ودعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر؛ فجعل القتل إماتة، وترك القتل إحياء؛ فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى ليعجزه؛ فإن حجته كانت لازمة؛ لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت؛ فكان له أن يقول: فأحي من أمتَّ إن كنت صادقا؛ فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى، قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، أي: تحير ودهش وانقطعت حجته؛ فإن قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم؛ فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب؟! قيل: إنما لم يقله؛ لأنه خاف أن لو سأله ذلك دعا إبراهيم ربه؛ فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهارًا للحجة عليه، أو معجزة لإبراهيم -عليه السلام- ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

فالملحد ضعيف الحجة، متناقض في الدعوى، لا يمكنه الثبات على قول؛ لأن مبنى مذهبه على الشك واتباع الظن والكفر بالخالق ومناقضة الفطرة السليمة بمحارات العقول وجهالات الفلسفة، والربط الخطأ بين المحسوس والمغيب، ومدافعة الواقع الذي لا يمكن دفعه.



الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية (الأخيرة)

إقليم غرب أفريقيا

كتب. كمال محمد جاه الله
نائب عميد الدراسات العليا - جامعة إفريقيا العالمية

استكمالا للحديث الذي بدأناه عن رصد الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية المختلفة، عبر رصد حركة التنصير في كلّ إقليم على حدة، لمعرفة الوسائل التي يستخدمها، والفئات التي يستهدفها، والمجالات التي يركّز فيها نشاطه، وتكلمنا في الحلقة الماضية عن مفهوم الحراك التنصيري، وذكرنا بعض الإحصاءات، واليوم نتكلم عن الحراك التنصيري في إقليم غرب إفريقيا.

يتميز إقليم غرب إفريقيا الذي يضم عدداً كبيراً من الأقطار بمميزات مهمة، يأتي ضمنها أن هذا الإقليم من مناطق قارة إفريقيا التي ظلت بمنأى عن المسيحية القديمة، غير الأوروبية المصدر، كما أن بعض مناطقه شهدت قيام مراكز إسلامية تاريخية، كان لها الأثر الكبير ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، هذا فضلا عن أن هذا الإقليم يكثر فيه أتباع الديانات التقليدية.

تداخلاً بين المتغيرات

يرى د. قيصر موسى الزين، الذي قدّم دراسة عن حركة التنصير في غرب إفريقيا، أن هناك تداخلاً بين المتغيرات من جغرافية وسكانية وتاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية مع ظاهرة التنصير، وتغلغل نشاط الكنيسة والمؤسسات ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بها، وتأثير ذلك في مجتمعات غرب إفريقيا.

خريطة التنصير

وأشار ضمن ذلك إلى أن خريطة التنصير وتأثيراته الاجتماعية والثقافية تزداد عادة باتجاه الجنوب الجغرافي في الإقليم، وذلك بسبب ضعف وجود التأثيرات الإسلامية، ذات الجذور التاريخية التي تغلغلت في شمال الإقليم، بحكم المجاورة للعالم الإسلامي القديم – قبل العصر الحديث–، ولاسيما من المغرب العربي، وذلك أن دولاً مثل الكاميرون وغامبيا ومالي والنيجر ذات أغلبية مسلمة، يضعف فيها التبشير المسيحي كثيراً، مقارنة مع دول أخرى في الإقليم مثل بنين وبوركينافاسو وغانا.

يتركّز الحراك التنصيري في هذا الإقليم تركيزا بارزا في مضمار التعليم، ولاسيما في بنين؛ حيث يمثل التعليم أداة مهمة، وقد ساهمت الكنيسة الكاثوليكية في تأسيس مجتمع النخبة في البلاد، ولاسيما في توغو، التي اعتمدت الكنيسة فيها على إنشاء المدارس، ووفقاً لكثير من المصادر؛ فإن النصيب الأكبر في هذا المجال للكاثوليك، وقد بلغ عدد المدارس الكاثوليكية في توغو عام ١٩٧٦م ٢٣٦ مدرسة ابتدائية، و ٢٩ مدرسة ثانوية، ومن المتوقع أن يكون هذا العدد قد زاد زيادات واضحة في السنوات الأخيرة.

أهم ما تقوم به الكنيسة

ولعل من أهم ما تقوم به الكنيسة وأخطره في إقليم غرب إفريقيا، التي كسبت بمرور الزمن تقاليد راسخة في العمل التنصيري، أنها في الآونة الأخيرة دعت إلى مراجعة تلك التقاليد وتطويرها، ولاسيما بعد عام ٢٠٠٨م، وذلك طمعاً في اتّباع أساليب إبداعية جديدة، تستلهم روح عصر العولمة، وعصر المعلومات والإنترنت وغير ذلك لنشر المسيحية، وقد تبع ذلك، بل لازمه، إعلان حاجة الكنيسة القوية إلى منصّرين وقساوسة من ثقافات إفريقية، وذلك للمساعدة في توصيل المسيحية؛ وكأنها جزء من الثقافة الإفريقية المحلية، وليس



يتركّز الحراك التنصيري في هذا الإقليم تركيزا بارزا في مضمار التعليم، ولاسيما في بنين حيث يمثل التعليم أداة مهمة

دول الجنوب الإفريقي لم تكن من تلك الدول التي حظيت بانتشار الإسلام فيها مثل بقية أجزاء القارة الإفريقية الأخرى, ويُعزى هذا إلى قسوة الطبيعة، وتفشي الأمراض

بوصفها ديناً قادماً من خارج القارة!

ولعل أهم ما طُرح في هذا المجال من مراجعات للتقاليد القديمة ما يمكن أن نسميه خطة جديدة لتنشيط حركة التنصير في الإقليم، وضخ دماء جديدة فيها.

ويمكن استعراض أهم ما طُرح في الآتي:

أولاً: إطلاق إذاعة تنصيرية جديدة قوية: ونعني به راديو حول العالم، الذي بدأ البث الفعلي من مركز بث قوي جديد يقع في جمهورية بنين، وذلك ابتداء من الأول من فبراير / ٢٠٠٨م، وهذه الإذاعة تُبث بأربعين لغة، وتصل إلى ٦٣ مليون مستمع في إقليم غرب إفريقيا.

ثانياً: إعداد حملة تنصيرية مبتكرة: في شكل رحلة، في أكتوبر / ٢٠١٠م، من مراكز في المغرب إلى كازابلانكا، إلى داكار في السنغال، وبانجول في غامبيا، وفري تاون في سيراليون، وغانا وغيرها من أقطار غرب إفريقيا، وقد تم استقطاب الدعم لإعداد البرنامج.

ثالثاً: الدعاية السوداء: تروّج بعض المواقع الإلكترونية التابعة للكنيسة أخباراً عن سوء معاملة القساوسة المسيحيين في غرب إفريقيا، إما بواسطة المسلمين، على المستوى الشعبي، أو بواسطة بعض الدول التي تضع قيوداً على نشاط الكنيسة لأسباب سياسية.

رابعاً: التغلغل اليهودي في التنصير: هناك منظمة عاملة في غرب إفريقيا تنشط في الاهتمام بالدراسات اليهودية المسيحية، تسمّي نفسها (مسيحيون من أجل إسرائيل العالمية).

خامساً: المؤتمرات: من بين أهم المؤتمرات التي عُقدت في العام ٢٠٠٨م بغرب إفريقيا (مؤتمر منظمة حركة لوساني للقادة الشباب)، وقد عُقد في أبوجا بنيجيريا، ومن أهم المحاور التي ناقشها المؤتمر: الأيتام والأطفال في أوضاع هشة، والصلاة من أجل نجاح التنصير في الإقليم (غرب إفريقيا)، الذين لم يتم الوصول إليهم لتحقيق خلاصهم.

رابعاً: الحراك التنصيري في إقليم الجنوب الإفريقي

ينفرد إقليم الجنوب الإفريقي عن بقية أقاليم إفريقيا الأخرى من منظور موضوع دراستنا؛ باشتماله على مناطق ذات نفوذ مسيحي، كما أن الغالبية العظمى من الأقطار في هذا الإقليم لديها دساتير تحترم حق الممارسة الدينية، وحرية العبادة، وحرية تغيير الدين، هذا فضلا عن أن دول الجنوب الإفريقي تعاني الكثير من المشكلات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، المتمثلة في الحروب الأهلية، والفساد، والجفاف، ونقص الغذاء، وانتشار العديد من الأمراض التي من أخطرها مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، ونسبة المصابين في هذه الدول هي الأعلى في العالم.

ويُضاف إلى المميزات المشار إليها سابقاً، أن كل دول الجنوب الإفريقي لم تكن من تلك الدول التي حظيت بانتشار الإسلام فيها مثل بقية أجزاء القارة الإفريقية الأخرى، ويُعزى هذا إلى قسوة الطبيعة، وتفشي الأمراض، ولاسيما في منطقة البحيرات العظمى؛ حيث بقي السكان على دياناتهم التقليدية، وقد كسبت الكنيسة عدداً من الأتباع الإفريقيين، وقد كان جلّهم من بين أصحاب الديانات التقليدية.

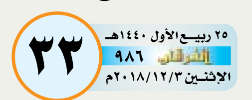
ويمكن القول إن ما أسميناه بمميزات إقليم الجنوب الإفريقي، كان لها دور مهم وبارز في إتاحة الفرصة للحراك التنصيري؛ فنشطت عملية التنصير التي اتخذت من المشكلات المختلفة التي يمر بها الإقليم ذريعة للتدخل؛ فقامت الجمعيات التنصيرية بمراقبة الوضع الديني وسط السكان، أو التدخل في الشؤون الداخلية والعمل التنصيري، ويظهر ذلك بوضوح في جميع المؤسسات الدينية المسيحية، التي رغم اختلافاتها العقدية، كالبروتستانت والكاثوليك، نجدها تعمل متضامنة بعضها مع بعض فيما يخص مجال التنصير.

ووفقاً لعبد الوهاب دفع الله؛ فإن الجمعيات التنصيرية سلكت كعادتها الطريق التدريجي لبلوغ أهدافها؛ فبدأت بالصناعات اليدوية، وأخذت الإرساليات في مدارسها أوقاتاً وجهداً لكي يتقن التلاميذ النجارة، والحياكة، والبناء، والحدادة، وتطريز المنسوجات، والتماثيل الخشبية، والعاجية، والفخارية، وقد كان هذا الاتجاه جديراً بأن يقابل بالترحاب من جانب الطلاب.

يأتي التعليم في مقدمة المجالات المهمة العديدة التي وجد المنصّرون من خلالها طريقة لممارسة أنشطتهم؛ ففي بتسوانا، مثلاً، يُعَد التعليم الديني المسيحي جزءاً من المناهج الدراسية في المدارس العامة.

ومن جانب آخر يُعَد مجال انتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) أحد المداخل التي ولجت من خلالها حركة التنصير، وكسبت بها مسوغات وجودها، هذا فضلا عن ارتفاع معدل التضخم والبطالة في أقطار هذا الإقليم كافة.

وإذا أخذنا زامبيا بوصفها واحدة من دول إقليم الجنوب الإفريقي المهمة، نجد أنها تعاني مشكلات اقتصادية عدة، على رأسها ارتفاع





حركة التنصير تستغل شرائح يسود فيها الفقر والجهل والمرض، أو شرائح تتعرض للكوارث الطبيعية والبشرية، عبر واجهات ذات طبيعة خدمية وإنسانية

حركة التنصير تعمل على التضييق على الدعوة الإسلامية ومنظمات العمل الخيري الإسلامي

معدل التضخم والبطالة، وتعاني الأزمات السياسية، ولاسيما بعد تعرضها لانقلاب في عام ٢٠٠٣م، كما تعاني زامبيا، أيضاً، فساداً إدارياً وانتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، جميع هذه المشكلات دفعت بالكنائس للتدخل لمعالجة هذه الأمور بغرض الكسب الديني.

إن من الأحداث المهمة في مضمار الحراك التنصيري في إقليم الجنوب الإفريقي، تلك الزيارة التي قام بها بابا الفاتيكان لأنغولا في مارس / ٢٠٠٩م، بعد أن مكث أيام عدة في الكاميرون، وفي هذه الزيارة الدينية المهمة حاول، مثلما فعل في الكاميرون، التركيز في مناطق الجراح في قارة إفريقيا، ووعد بالحلول الناجعة لها وبالعلاج الكامل، حتى إنه ليقول في أحد اللقاءات: «لا يمكن لقلبنا أن يعرف هوادة ما دام هناك أخوة يتألمون لأجل نقص الغذاء أو العمل أو المسكن، أو ما سوى ذلك من الخيور الأساسية»، كما وجّه في كثير من لقاءاته نداءً بتقسيم عادل لموارد الأرض، وأوصى الأفارقة بألا يُذعنوا لقانون الأقوى.

ولكي يوصل البابا رسالته التنصيرية التي قدم من أجلها، عقدت لقاءات مهمة مع عدد من الفعاليات؛ لعل أهمها: شباب أنغولا، والحركات الكاثوليكية لتعزيز المرأة، والسلطات المدنية، والسياسية، وأعضاء السلك الدبلوماسي، ولاشك أن هذه الزيارة من شأنها أن تدفع بدماء جديدة لحركة التنصير، ليس في أنغولا وحدها، ولكن في معظم إقليم الجنوب الإفريقي.

بقي أن نشير إلى أن مظاهر الحياة الدينية والاحتفالات الرسمية في الأقطار المختلفة لإقليم الجنوب الإفريقي، مثل يوم الجمعة العظيمة، وعيد الميلاد، وعيد الفصح، تؤكد سيطرة الدين المسيحي على أوجه الحياة العامة في هذا الإقليم، ومن ثم كان وجود الدين الإسلامي فيها دين أقليات.

خلاصة الورقة

أثارت هذه الورقة جملة من النقاط عن الحراك التنصيري في أقاليم قارة إفريقيا المختلفة، وقد خلصت إلى الآتي:

أولاً: أن حركة التنصير تحاول -قدر الإمكان- الاستفادة من الموقع والمميزات لكل إقليم، واستثماره لمصلحة بث دعوتها.

ثانياً: أن حركة التنصير تستخدم وسائل جديدة غير تقليدية منسجمة مع عصر العولمة وتقنية المعلومات، من إنترنت وقنوات فضائية.. إلخ، وهو ما يدل على مواكبتها للتطورات.

ثالثاً: أن حركة التنصير تستهدف فئة الشباب وطلاب الجامعات، وتعمل على إغرائهم بالمال والجنس والسفر إلى الخارج للعمل، لعلمها بأن هذه الفئة أكثر تسرعاً وحماسة للمغامرة.

رابعاً: أن حركة التنصير تركز نشاطها في مجال التعليم ومجال الصحة والعلاج، لإدراكها بأن التعليم يقدّم نخباً يعوّل عليها لاحقاً، ولمعرفتها بأن الصحة والعلاج مدخلاً للاستقطاب.

خامساً: أن حركة التنصير تقوم بحالة مراجعة وتطوير للتقاليد القديمة في مجال التنصير، وإبدالها بتقاليد جديدة مستوحاة من روح العصر، فيها الكثير من التشويق والإغراء.

سادساً: أن حركة التنصير تستغل شرائح يسود فيها الفقر والجهل والمرض، أو شرائح تتعرض للكوارث الطبيعية والبشرية، عبر واجهات ذات طبيعة خدمية وإنسانية، ومؤسسات وجمعيات غربية ومحلية إفريقية، تستغلها لنشر النصرانية.

سابعاً: أن حركة التنصير، من منطلق معرفتها الجيدة بجغرافيا إفريقيا وتاريخها وديموغرافيتها.. إلخ، توظّف بعض الإحداثيات التاريخية وغيرها لإحداث فتن واضطرابات.

ثامناً: أن حركة التنصير تعمل على التضييق على الدعوة الإسلامية ومنظمات العمل الخيري الإسلامي، تارة بوصمها بالإرهاب والأصولية، وتارة باستحداث سياسات خاصة بإلزامية تسجيلها، لكي تضع أمامها العراقيل لاحقاً.

تاسعاً: أن حركة التنصير تنشط في مضمار اللغات المحلية، لأغراض ترجمة الإنجيل إليها، تسهيلاً لعملية التنصير.

السلفية بين الإقصاء والادعاء (٨)

السلفية وتطبيق فقه المآلات

نقد وتحليل لمؤتمر السلفية تحولاتها ومستقبلها

كتب: د. خالد آل رحيم

تحدثنا فى المقال السابق عن تعريف فقه المآلات لغوياً واصطلاحاً، وبينا اهتمام علماء السلف بهذا العلم، واليوم نتحدث عن بعض الأمثلة التطبيقية لرد الشبهة التى تقول: إن السلفية لا علاقة لها بفقه المآلات، وهى شبهة مردودة قولاً واحداً، وأكرر أنه لا توجد دعوة من الدعوات ولا جماعة من الجماعات ولا أيدلوجية من الأيدلوجيات اهتمت بالتنظير لفقه المآلات، قولاً وتأليفاً وتطبيقاً عملياً، مثلما فعلت الدعوة السلفية، وسنتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكيفية اهتمامه بفقه المآلات، كمثال لقرب عهده بزمننا.

منهج الشيخ -رحمه الله

يقول: فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس وأحمد بن حنبل -رحمهم الله تعالى- أما مذهبنا (يعني المذهب الفقهي): فمذهب الإمام أحمد إمام أهل السنة، ولا نُنكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها (قصة الإمام).

أمثلة من حياة الشيخ

بينا أن فقه المآلات اصطلاحاً هو : الفقه الذي ينظر إلى مآل الحكم الشرعي عند تنزيله في الواقع، ويأخذه بعين الاعتبار؛ فإن الحكم سيؤدي إلى مقصده إمضاه، وإن كان لا يؤدي إلى مقصده عدله، أو غيره بحسب طبيعة المآل، فهو يستلزم توقع ما سيؤدي إليه الحكم الشرعي عند تطبيقه؛ لذلك اختار له بعض المعاصرين اسم فقه التوقع، والصحيح أن التوقع مرحلة من مراحل فقه المآل؛ لأننا بعد أن نستشرف المستقبل ونتوقع ما ستؤول إليه الأمور، يجب أن ننتقل إلى المرحلة الثانية التى هي أخذ ذلك التوقع بعين الاعتبار في صياغة المطلوب شرعا، وإليك بعض الأمثلة من حياة الشيخ.

دفع أموال الزكاة

مخالفته للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- فى مسألة دفع أموال الزكاة؛ فقد كان الشيخ يوجب على الناس دفع أموالهم الباطنة، كالنقود ومال التجارة إلى الإمام (سلطان المسلمين) وهو يفرقها لمستحقيها، وكان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال الباطنة ليأخذ الإمام زكاتها قهراً منهم، مع أن هذا غير المعهود من مذهب أحمد ابن حنبل -رحمه الله- وسبب مخالفة الشيخ لابن حنبل -رحمه الله- يعود إلى بيئة الشيخ وعصره؛ فقد انتشر النفاق، وعم الجهل بدين الله -تعالى-، وفشا الشرك وإيثار الدنيا على الأخرة؛ فترتب على ذلك أن كنز الناس أموالهم؛ فكثر الفقراء والعالة والمساكين، وهذا الأمر سبب عائقاً ومسؤولية كبيرة على عاتق الإمام، والدولة المسؤولة عن سد حاجات هؤلاء وتطبيق شرع الله؛ فمخالفته للإمام أحمد -رحمه الله -طبق فيه فقه المآل لهذا الحكم الشرعي؛ حيث إن الإمام لما يأخذ الزكاة قهرًا ممن تخاذل عن دفعها، ينتج عن ذلك قلة الفقراء والمساكين فى دولته .

اجتهاده في باب التيمم

اجتهاده في باب التيمم؛ فبعد استعراضه الطويل لشرط طلب الماء وتيمُم من وجُد معه الماء في حالات مثل: إن خاف العطش على نفسه تيمم ولا إعادة إجماعًا، وإن خاف على رفيقه أو بهائمه، وكذلك إن وُجد عطشان يخاف تلفه لزمه سقيه ويتيمم، وهنا مراعاة مقصد الشريعة للمكلفين، المتمثل في ضرورة تحقيق اليسر بينهم ورفع المشقة والهلكة عنهم، وهو من باب الارتفاع بصيانة الروح إلى حيث كرمها الله (قصة الإمام)، وهنا لو ألزم الشيخ من معه الماء بالوضوء، ولم ينظر لمآل ذلك الفعل الذي ربما يؤدي إلى الموت، لضاعت أرواح جاء الشرع لحفظها، ولكن رأى الشيخ أن يتيمم، ويُبقي الماء لحفظ النفس مستقبلاً، وهذا هو مآل المسألة.

موقفه مع عثمان بن معمر

موقفه مع عثمان بن معمر الذي نقض العهد مع الشيخ ومع الأمير ابن سعود وعزم عام ١١٦٣ هجري بالقضاء عليهما؛ فعرفوا مكيدته؛ فقُتل فلما علم الشيخ بذلك، عجل بالمسير إلى العينية، خشية اختلاف الناس وتنازعهم؛ فقدم عليهم في اليوم الثالث بعد مقتله؛ فهدأت النفوس، وتشاوروا فيمن يأخذ الرئاسة والإمارة، وأراد أهل التوحيد ألا يولى عليهم أحد من آل معمر؛ فأبى عليهم الشيخ ذلك، ووضح لهم طريق الصواب بالحجة المقنعة، وأمر عليهم مشاري بن معمر أخو عثمان بن معمر، وهذا من فقه الشيخ وخوف المآل من حدوث الاقتتال بينهم وذهاب دولة التوحيد الوليدة بسبب العصبية، وكذلك مطالبة آل معمر بالثأر؛ فلما تولى أحدهم سكنوا وهدأت الأمور (قصة الإمام).

وفي رسالته لأهل الدرعية بقوله: لولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه لكان شأن آخر، وهذا يدل على أن الشيخ يعي فقه الواقع والمآلات؛ فلو حمل الناس جملة على الدين ربما تركوه، وأن الناس في هذه المرحلة لا يتحملون أن نحملهم على الشريعة مرة واحدة، وهذا مستقى من النبيﷺ، وهذا هو عين فقه المآل .

دراسة الضوابط الفقهية للأعمال الوقفية

كتب: د. عيسى القدومي

إنّ ممّا اختصّ به النبيّ ﷺ على سائر الأنبياء، فحظيت به أمّته من بين الأمم تبعًا له، هو ما بيّنه ﷺ في حديث الخصائص الذي جاء فيه: «...وأُوتيتُ جوامع الكلم»، وجوامع الكلم: الكلمات اليسيرة، التي تحتها معانٍ كثيرةٌ عظيمةٌ، والقواعد الفقهيّة والضوابط هي عباراتٌ موجزةٌ، يُعتنى عند صياغتها بالإيجاز، يمكن أن يدخل تحتها ما لا يُحصى من الوقائع والنّوازل والصور في عموم الفقه، أو في الباب المقصود بالضبط؛ فهذا العلم -على ذلك- منطلقٌ من خصيصة من خصائص الوحي الإلهيّ إلى رسولنا ﷺ.



وفي بيان أهمّيّته: قال القرافيُّ -رحمه الله-: «وأنت تعلم أنّ الفقه وإنْ جلّ، إذا كان مفترقًا تبدَّدَتْ حكمتُه، وقَلَّتْ طَلَاوتُه، وبَعُدَتْ عند النّفوس طِلْبَتُه، وإذا رُتِّبت الأحكامُ مخَرَّجَةً على قواعد الشّرع، مبنيّةً على مآخذها، نهضت الهممُ حينئذ لاقتباسها، وأُعجبت غاية الإعجاب بتقَمُّص لباسها»، وقد جعل القرافيّ مقدّمته الثانية لكتابه الشهير هذا «فيما يتعيّن أنْ يكون على خاطر الفقيه من أصول الفقه، وقواعد الشرع، واصطلاحات العلماء، حتى تُخَرَّجَ الفروع على القواعد والأصول؛ فإنّ كلَّ فقه لم يُخَرَّج على القواعدِ فليس بشيءٍ!»، وقد قرّر -رحمه الله وهو من هو- أنّ من «ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيّات، لاندراجها في الكلّيّات».

إحكام قواعد الأحكام

وقال السبكي: «حقٌّ على طالبِ التّحقيق، ومن يتشوّق إلى المقام الأعلى في التصوّر والتصديق، أن يُحكِم قواعد الأحكام ليرجع إليها عند الغموض، وينهض بعبء الاجتهاد أتمّ نهوض، ثم يؤكّدها بالاستكثار من حفظ الفروع، لترسخ في الذّهن مثمرةً عليه بفوائدَ غير مقطوع فضلُها ولا ممنوع، أمّا استخراج القُوَى، وبذل المجهود في الاقتصار على حفظ الفروع من غير معرفةِ أصولِها، ونظم الجزئيّات بدون فهم مأخذها؛ فلا يرضاه لنفسه ذو نفس أبيّة، ولا حاملُه من أهل العلم بالكلّيّة!».

اهتمام الفقهاء

ويشرح هذه الأهميّة الدكتور عبد الله الدّرعان؛ فيقول: «اهتمّ الفقهاء بالقواعد الفقهيّة لما فيها من سهولة العلم والإحاطة بأحكام الفروع دون حفظها، والإلمام بمدلولاتها دون جمعها، ولما يترتّب عليها من انتظام الكلّيّات للجزئيّات، ولولا القواعد الفقهيّة لكانت الأحكام الفقهيّة فروعاً متناثرةً تتناقض في ظواهرها، وإنْ اتّفقت في مدلول بواطنها».

هذا في فضل القواعد الفقهيّة عامّة، وكلّ ما قيل وسيُقال فيها فإنّه يصيب الضوابط الفقهيّة؛ لِمَا تقرّر من كون الفرق المركزيّ الوحيد بين القاعدة والضوابط هو ضيق مجال الضابط حتى يختصّ بباب واحد، في حين قد تعمّ القاعدة أكثر من باب؛ فلا فرق بينهما على التحقيق في الاستمداد والتكوين، ولا في الثمرة والفائدة، إلّا ما بين العامّ والخاصّ المتفقين على تقرير ذات الحكم، والمحقّقين لذات الغرض.

باب الوقف

وباب الوقف خاصّة، ربّما تفوق أهميّة تقرير ضوابطه ما يتوفّر من أهميّة لضبط أبواب كثيرة أخرى من الفقه، ذلك أنّ عامّة أحكام الوقف اجتهاديّة؛ فلا مناص من الانطلاق في تقريرها من أصول الشريعة العامّة الضابطة لباب المصالح والمنافع على وجه الخصوص، ثمّ

> **اهتمّ الفقهاء بالقواعد الفقهيّة لما فيها من سهولة العلم والإحاطة بأحكام الفروع دون حفظها**

من القواعد الفقهيّة الكلّيّة، ثم يترجم كلّ ذلك على هيئة ضوابط، ولاسيما بباب الوقف.

قال الشيخ العلّامة الأستاذ مصطفى الزّرقا: «الوقف لم يرد نصٌّ على طريقته بخصوصها في الكتاب، وإنّما ثبت طريقتُه بالسُّنَّة، وإنّ الذي ورد في السُّنَّة أيضاً هو حكمٌ إجماليٌّ عام، في أن يُحبس أصل الموقوف دون أن يُباع أو يُوهب أو يُورث، وأن تُسَبَّل ثمرته، أمّا تفاصيل أحكام الوقف المقرّرة في الفقه فهي جميعاً اجتهاديّة قياسيّة، للرأي فيها مجال...».

وقال الأستاذ أحمد إبراهيم بك: «لو بُنيت أحكام الوقف كلّها على المصالح لما كان في هذا مخالفة للشّرع؛ لأنّها كلّها من الأحكام الدنيويّة المتعلّقة بصيانة الأعيان الموقوفة، واستغلال ما يستغلّ منها، وإدارتها إدارةً حسنةً، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه، واحترام شروط الواقفين في حدود ما أذن الشارع ولم يَنْهَ عنه».

أحمد إبراهيم: لو بُنيت أحكام الوقف كلّها على المصالح لما كان في هذا مخالفة للشّرع؛ لأنّها كلّها من الأحكام الدنيويّة المتعلّقة بصيانة الأعيان الموقوفة

ضبط باب الوقف

وهذه التقريرات من هؤلاء الخبراء بالبحث والتدقيق قديماً وحديثًا، لا تدع للرّيب مكاناً في أنّ ضبط باب الوقف بالأُطر الشرعيّة الكلّيّة التي تندرج تحتها جزئيّاته وفروعه من الحتميّات التي لا خيار فيها، واللهَ نسألُ التوفيق والسّداد في القول والعمل؛ لذلك سنتناول في الحلقات القادمة بمشيئة الله دراسة لأهم القواعد والضوابط الفقهيّة للأعمال الوقفية؛ فإنّ جمع الضوابط الفقهيّة لباب معين من أبواب الفقه، قد صار من النّوع الشائع في الدّراسات المعاصرة، وقد شاع في الدّراسات الأكاديمية أكثر من غيرها، وهو نوعٌ من الدّراسات قدّم خدمته وترك بصمته في المكتبة الفقهيّة الإسلاميّة.

تشعب الدراسات

وعلى قَدْر تنوُّع المؤسّسات التعليميّة وتعدُّد الباحثين، فقد تشعّبت الدّراسات جدًّا، حتى غدت أكثر اختصاصاً، كالأبحاث التي تُعنى باستخراج الضوابط الفقهيّة لبابٍ من أبواب الفقه من كتابٍ معيّن، أو من مجموعة مصنّفات لعالمٍ معيّن، وهي مع عِظَمِ الخدمة العلميّة التي تؤدّيها، قد تكونُ شاهدةً على مقدرة الباحث من عدمها، ومفيدةً في معرفة ذلك، أكثر من إفادتها لطالب العلم السّاعي إلى التفقُّه والفهم، ولا -من باب أولى- لطالب العمل، ولاسيما إذا لم يكن باحثًا؛ فإنّ كلّ همّه أن يكون متّجهًا إلى تحصيلِ خُلاصاتٍ واضحةٍ لكي يتصرّف بناءً عليها.

الدّراسات الوقفيّة

ولمّا كنتُ قد قضيتُ عقودًا من عمري في الدّراسات الوقفيّة والعمل الوقفيّ؛ فقد رأيتُ أن أقدّم مادّةً اجتمعت لي من الضوابط الفقهيّة لباب الوقف، مبتعدًا في ذلك عن طريقة الاستخراج والجمع والترتيب والسّرد فقط، وغيرَ ملتزم في ذلك بمذهب معيّن ولا طرِيقة بعينها، متجاوزاً كلَّ ذلك إلى ما هو بالفقه المقارَنِ أشبه، وإن كنتُ لا أتعرّض لمناقشة الأدلّة والإيرادات إلّا قليلاً.

تصوُّر له حظٌّ من الشّمول

وإنّما أردت بذلك تقديم تصوُّر له حظٌّ من الشّمول، لا لكي يكون معيناً على التفقُّه في مسائل الوقف النّظريّة فقط، بل ليكون كاشفاً عن الصّلة بين الفقه الإسلاميّ الأصيل بصورته الكاملة، وبين واقع العمل الوقفيّ المعاصر ومؤسّساته، وما فيها من لوائح ونُظُم وقوانين وأساليب إداريّة، وكذلك قوانين الأوقاف المعمول بها في العالم الإسلاميّ، في سبيل التعرُّف على ما لهذه الصّلة من خصائص ونقائص، والوقوف على ما يمكن تقويتُه وتنميتُه فيها، واستبعاد ما يقع للعاملين في ميدان الأوقاف ومعالجتها، وقد كان هذا المقصد بدوره دافعاً لي لاستبعاد بعض الضوابط التي انقرضت مجالات تطبيقها لتحوُّل الأعراف وجريان الزمن، كما كان دافعًا لي كذلك باتجاه تقليل عدد الضوابط ما أمكن؛ لأنّ الغرض من نشوء هذا العلم أصلاً، هو لمّ الشّتات وإعفاء الذّاكرة من حفظ كثيرٍ من آحاد الفروع كما سيأتي، والضوابط إذا كثُر تشقيقها وتفريعها وتفصيلُها حتى قاربت فروع الباب في العدد؛ فقد آل أمرها إلى الشتات والاضطراب كالفروع التي لا تتناهى، وتخلّفت عنها منفعة الضبط؛ لذا فقد أردتُ بعملي هذا رسم الخطوط العريضة والأُطُر العامّة لباب الوقف، ولعلّ القارئ إن طالع هذا العمل وقارنَه بغيره، سيجد أنّ تأمُّل ضابطٍ واحدٍ في هذا الكتاب، يوازي مضمون عشرةٍ في غيره!

ولا أزعمُ ذلك لشيءٍ، إلّا لعنايتي بهذا المقصد أوّلاً، ولقناعتي الراسخة بأنّ تشقيق الضابط الواحد إلى ضوابط متعدّدة لأجل الاختلاف في الصياغة فقط، أو لأجل قيدٍ واحد مُضاف ليس ذا جدوى إذا أمكن الجمع والاختصار؛ فإنّ هذا أكثر اتّساقاً مع حقيقة هذا العلم وغرضه.





من حياة المحسنين الكويتيين

حمد بن عبدالله الصقر

رئيس أول مجلس شورى كويتي

كتب: محمود عبدالرازق العدوي

منذ نشأة الكويت عمومًا، وشروق شمس الكويت الحديثة خصوصًا، تتسابق العائلات الكويتية وتتنافس في إنشاء مشاريع الخير ودعمها بكل سخاء، في ملحمة عطاء إنسانية فريدة ورائدة، صارت مضرباً للأمثال، وقدوة لفضائل الأعمال، تتناقلها أجيال بعد أجيال، وتنسج فسيفساء في غاية الروعة والجمال، وفي هذه الحلقات نحاول عرض السير العطرة لرموز العطاء من المحسنين والواقفين الكويتيين وجوانب إحسانهم ووقفياتهم ومشروعاتهم الخيرية، واليوم مع علم من أعلام هؤلاء المحسنين وهو العم: حمد بن عبدالله الصقر -رحمه الله.

هو حمد بن عبدالله بن يوسف بن صقر بن محمد الصقر ولد في الكويت عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧١م ينتهي نسبة إلى عائلة الصقر وهي من العائلات العريقة ولها مكانتها في إدارة الحركة التجارية بالكويت، ظهر منها نواخذة قدامى جابوا بحر العرب والمحيط الهندي حتى وصلوا إلى ساحل إفريقيا وخليج البنغال جده النوخذة يوسف الصقر كان يملك سفينة شراعية كبيرة تدعى (الوفرة) وهي من نوع البغلة، بلغت حمولتها أكثر من ٧٥٠ طنا من التمور عندما كان عائدا بها من خليج البنغال عام ١٨٤٥م، ويعد ابنه عبدالله الصقر (والد المحسن حمد الصقر) هو الوحيد من بين أولاده الذي أصبح نوخذة، فقد قام بقيادة السفن الشراعية حتى حدث له ما كدر خاطره في الكويت؛ فجمع ما عنده من مال وجمع عددا من البحارة، ثم سافر معهم إلى ساحل أفريقيا الشرقي، وظل يعمل حتى توفي ودفن هناك، وفي الوقت الذي سافر فيه من الكويت، ولد ابنه حمد عبدالله الصقر وكان قد رزق من الأولاد ثلاثة غيره هم صقر وأحمد وإبراهيم، أما صقر فهو الوحيد الذي تعلم قيادة السفن الشراعية، وأصبح من نواخذة الكويت المعروفين، وقد رافقه أخوه حمد الصقر في رحلاته، حتى تعلم شؤون الملاحة والبحر وأصبح نوخذة بعد تقاعد أخيه صقر.

وقد ذكرهما الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه (صفحات من تاريخ الكويت) فقال: «كانت الكويت في بادئ أمرها - إلى أن أخذت البواخر تمر بها - معظم تجارتها تأتي في السفن الشراعية، وفيها تجار يجلبون البضائع من الهند والمليبار واليمن وزنجبار، وأشهر تاجر منهم يوسف الصقر وسليمان بن عبدالجليل وصقر وحمد آل عبدالله الصقر؛ فهؤلاء ملكوا ثروات طائلة من التجارة وكانت لهم سفن خاصة».

تغيير علم الكويت

يقول المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان - في كتابه (تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي): «إن أول كويتي استعمل لنج هو حمد بن عبدالله الصقر - من الشخصيات البارزة في تاريخ الكويت - اقتنى هذا اللنج عام ١٩١٤م، وكان سبباً في تغيير علم الكويت العثماني إلى علم آخر، وكان ذلك في بداية الحرب العظمى، عندما أطلقت عليه النار بارجة بريطانية في شط العرب».

وهذه القصة المشهورة، التي تدل على شجاعته، يرويها لنا ابنه السيد جاسم حمد الصقر -رحمه الله- فيقول: «بينما كان يجول بمركبه الصغير (اللنج) في شط العرب، متفقدا السفن الشراعية التي تحمل التمور للتصدير، وكان اللنج يرفع العلم الكويتي، وهو مشابه تقريبا للعلم التركي، وعند مروره قرب البارجة الحربية الانجليزية، أصدرت إليه إشارة بالتوقف لكونه من سفن العداء، لكن أحدا لم يفهم الإشارة، لذا بادرت البارجة بإطلاق نيران مدافعها عليه،



كان للمحسن حمد الصقر -رحمه الله- الدور الواضح في إنشاء أول مستشفى في الكويت، عندما تبرع للإرسالية الأمريكية بالأرض

وهنا خارت قوى السكوني ومن في اللنج، لكن حمد أخذ «السكان» بيده، واتجه إلى البارجة بينما قذائفها مستمرة باتجاهه، وعند اقترابه توقف القصف، وصعد إلى البارجة، وأبرز شهادة أنه من رعايا الكويت وأن العلم كويتي؛ لذا لقي تكريماً من القائد واعتذاراً».

مسيرته الخيرية

لم يتخلف المحسن حمد الصقر -رحمه الله- عن المبادرة إلى أعمال الخير بأشكاله المتنوعة التي منها بناء المدارس والمساجد والمستشفيات وغيرها؛ فقد ملك عليه حب الإنفاق وفعل الخيرات كل جوانحه، فبذل وأعطى ولم يخشَ من ذي العرش إقلالاً، ومن ذلك ما يلي:

مساهمته في المدرسة الأحمدية

يعد حمد الصقر من أكبر المتبرعين لبناء المدرسة الأحمدية، وظل يدعمها حتى وفاته عام ١٩٣٠م؛ فعندما اجتمع وجهاء البلاد في مجلس السيد خلف باشا النقيب، حثهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد على تأسيس المدرسة الأحمدية، وكان في مقدمة هؤلاء المحسن حمد الصقر كما ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت) في معرض حديثه عن المدرسة الأحمدية قائلاً: «إلى أولئك الفضلاء يرجع الفضل في إخراجها إلى حيز الوجود ولهم دون سواهم يسند الشرف في تشييدها، وإليك أسماءهم لتذكرهم فتشكرهم:الحاج حمد الصقر، الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، الحاج أحمد الحميضي،...».

مساهمته في مدرسة تربية الأطفال

وفي عام ١٣٤٠هـ اقتطع مساحة كبيرة من عقاره الواقع على البحر (موقع المتحف الوطني حاليا)، وأعارها للشيخ محمد صالح العجيري – يرحمه الله- لبناء مدرسة لأبناء منطقتي القبلة والوسط، وقد قامت هذه المدرسة بدور كبير في تعليم القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، والحساب، واستمرت هذه المدرسة في العطاء لمدة عشر سنوات.

مساهمته في مدرسة البصرة

وعندما تقرر إنشاء المدرسة الثانوية في البصرة عام ١٩٢٨م، تم تكوين لجنة لجمع التبرعات للمساهمة في بناء هذه المدرسة، فتبرع المحسن حمد الصقر بمبلغ ٥٠٠ روبية، مما يعد من أكبر التبرعات التي تم تقديمها في ذلك الوقت.



■ علم الكويت القديم

مساهمته في تأسيس المستشفى الأمريكي بالكويت

كان للمحسن حمد الصقر -رحمه الله- الدور الواضح في إنشاء أول مستشفى في الكويت، عندما تبرع للإرسالية الأمريكية بالأرض من الجهة الغربية، وذلك استجابة لرجاء السيد(كالفارلي) مسؤول الإرسالية الأمريكية في الكويت والتماسه العون في الأرض لأجل التوسعة الغربية للمستشفى الأمريكية الذي كان هو المستشفى الوحيد في حينه.

مساهمته في تأسيس مستشفى البصرة الملكي

لقد فاض عطاؤه ليشمل الجانب الإنساني خارج حدود وطنه الكويت؛ حيث كان من أكبر المتبرعين لبناء المستشفى الملكي في البصرة، مما يؤكد النزعة الخيرية التي فطر عليها أهل الكويت، وهذه الفطرة باقية فيهم، وضخامة إنجازاتهم على مستوى العالم.

الإنفاق في سبيل الله

كان المحسن حمد الصقر حريصاً على الالتقاء بأصحاب الحاجات بنفسه؛ فيستمع إليهم، ويقدم لهم ما يحتاجون، وعندما يكون في الكويت يجلس صباح كل يوم جمعة في مدخل العمارة؛ حيث يتقاطر عليه أصحاب الحاجات وهم كثيرون؛ فيعطي كلاً منهم مسألته، وكان يخصص كيسين بهما نقود للصدقات، كيساً باسم أخيه (صقر) -يرحمه الله- من وصيته بالثلث، والآخر صدقة جارية منه -رحمهما الله.

وعندما تنادى أهل الوطن جميعاً ولاسيما وجهاؤهم وأهل الرأي فيهم، لبناء سور قوي منيع، لحفظ مدينة الكويت من هجمات الغزاة المحتملة، وبادر الجميع بحماس منقطع النظير- كل حسب طاقته - إلى التطوع والمساهمة بالمال والجهد، وتدفقت التبرعات من وجهاء الكويت وتجارها، وكان المرحوم حمد الصقر من أكثر المحسنين الذين أسهموا إسهاماً كبيراً بالمال وتوفير مواد البناء.

تم اختياره -رحمه الله- رئيساً لأول مجلس شورى تشهده البلاد في أبريل عام ١٩٢١م، في عهد الشيخ احمد الجابر الصباح، وكان هذا المجلس يتكون من ١٢ شخصاً من رجال الكويت المعروفين والتجار، وتم اختيارهم بالتعيين، ستة يمثلون منطقة الشرق وستة يمثلون منطقة القبلة، ولم يدم هذا المجلس طويلاً.

وفاته

سيظل المحسن حمد الصقر مثالاً طيباً يحتذي في فعل الخيرات وتقديم التبرعات والجود والكرم والإنفاق في سبيل الله -تعالى-؛ فقد كانت هذه خصاله حتى لاقى ربه في ٨ شعبان ١٣٤٨هـ الموافق ايناير ١٩٣٠م.

وقال عنه الشيخ عبدالله النوري -رحمه الله- في كتابه (حكايات من الكويت): «.. فلن يجوع فقير وفي المحلة غني، لقد جاد الجواد بما منَّ الله عليهم من الخير، واسوا الضعفاء، وأطعموا الجياع، وكسوا العراة، وتفقدوا من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فأرسلوا إليهم بالدراهم والطعام بلا منٍّ ولا أذى. ومن أولئك الجواد حمد بن عبدالله الصقر؛ فقد تصدق يوماً من الأيام بشحنة من الرز (العيش)، تفقد فيها أهل الحاجة فأنفقها عليهم في يومين اثنين، ولم يتبع ما أنفق على مواطنيه مناً ولا أذى، وقد وجد ولا شك ذلك عند الله -تعالى-». -رحمه الله تعالى- رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته وجعل أعماله في ميزان حسناته.

المصادر والمراجع:

- لقاء مع ابنه المحسن جاسم حمد عبدالله الصقر رحمه الله عام ٢٠٠٠م
- سلسلة محسنون من بلدي – بيت الزكاة – الجزء الثاني – الكويت ٢٠٠١م

اهتم بذاتك قبل فوات الأوان

كتبت: د. هناء الأيوب

أنْ تهتم بذاتك، هو أنْ تتذكر دائما أنه ليس لك إلا نفسٌ واحدة، فإن لم تعتنِ بها، فلمن تتركها؟! نَفْسُك نَفْسُك، قبل أن ينقطع نفَسُك! قال -تعالى-: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ سورة مريم(٨٤)، أي يعد علينا الجليل -سبحانه- أنفاسنا عداً، ومع آخر العدد ينقطع الرجاء وينتهي الأمل، فقد خلقنا الله ولم يتركنا سدىً هملًا، فلماذا نترك أنفسنا سُدىً هملًا؟!

الانقياد للواحد الأحد

إن اختيارك للانقياد للواحد الأحد حماية لقلبك من الانكسار، ولذاتك من الانهيار، فأنت تتقوى بمعية الله -تعالى-، والمؤمن القوي حتما أحب إلى الله -تعالى-، وأكثر نجاحا وثقة من المؤمن الضعيف، وذلك لا يكون إلا بإعادة نظرتك للأمور، رتِّب أولوياتك كما يريد خالقك، لا حسب رغباتك وهواك، اهتم بذاتك باتباع تعليمات السلامة التي خطّها لك من سوّاك، تذكر دائما أنَّ حياتك الدنيا طالت أم قصرت فمصيرها إلى فناء؛ فإما إلى هناءٍ! وإما إلى شقاء!.

فَرَحك بنجاتك

تصوَّر فرحك بنجاتك مع الناجين، أهل اليمين منهم أو السابقين المقربين، علّق قلبك بذلك، واعمل لتنجو بذاتك، تصور تلك المتع والمسرات، مما لم تره عين ولم تسمع به أذن من الملذات، ومما لم يخطر على قلب بشر في انتظارك في النهايات، فلا تُضِعْ وقتك في التحسر على منْ خذلك، أو تقضِ عمرك في لوم من خدعك.

لا تندم على ما فاتك في هذه الحياة من محبوبات، ولا يغب عن مخيلتك ما أُعِدَّ لك من فسيح الجنّات، حين ترنو بطرفك فتنظر، فيسفر وجهك وينضر، فتنسى كل اللذائذ التي عشتها، والمسرات التي نلتها، مقابل الخلود في النعيم المقيم، وفوق كل ذلك لذة النظر إلى وجه الله الكريم، لقوله -تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ سورة القيامة(٢٢،٢٣).

أقوى الوسائل في تطوير الذات وتنميتها، هو الانقياد والاستسلام لخالقها ومدبِّرها، والسير على منهاج النبوة، مع دوام مراقبة النفس ومحاسبتها

ألزم نفسك الاستقامة

ألزم نفسك بالاستقامة، والامتثال بأوامر رب البرية، تأسّ بالرسول الكريم -ﷺ- في مختلف المواقف الحياتية، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ سورة فصلت(٣٠).

لا تسمح للمشكلات التي تعترض حياتك

أنْ تهتم بذاتك؛ هو أنْ تتذكر دائما أنه ليس لك إلا نفسٌ واحدة، فإن لم تعتنِ بها، فلمن تتركها؟! نَفْسُك نَفْسُك، قبل أن ينقطع نفَسُك!

أن تكسر قلبك الخاضع لبارئه، أو تضيّق فؤادك المتعلق بخالقه، أو تدمر ذاتك التي كرمها الله وأجلَّها، وأعد الجنة وزيّنها لها.

ارتق بنفسك

احرص على أن ترتقيَ بنفسك يوميا فتزكيها بهدف أن يعلوَ قدرك عند خالقك أولاً، ثم عند المخلوقين، كأن تكتسب خُلُقا جميلا جديدا عليك، أو عادة حسنة لم تكن تمارسها، أو تبادر بعمل تنفع به الناس، ويقربك إلى الله، أو تدرب لسانك على ترديد كلمة طيبة تكن لك صدقة، أو تبدل طريقة تفكيرك من السلبية إلى الإيجابية، أو تحسِّن في عبادة، أو تزيد في طاعة، أو حتى ابتسامة ترسمها على محيَّاك تعوِّد نفسك عليها.

ابدأ بنفسك

ابدأ بنفسك أولا، واعلم أنه من أقوى الوسائل وأنجحها فاعلية في تطوير الذات وتنميتها، هو الانقياد والاستسلام لخالق الذات ومدبِّرها، والسير على منهاج النبوة، مع دوام مراقبة النفس ومحاسبتها، تعرف على ذاتك عن قرب؛ فزد من الحسنات، وتب من السيئات، اقترب أكثر من نفسك لتغص في أعماقها، اجتهد لتعدِّل مسارها، راقب أفكارك وقوِّمها، وخطراتك فنقِّها، وخطواتك فصوِّبها، اكسب الإيجابي وقَوِّم السلبي منها.

راقب ذاتك

اجعل لمراقبة ذاتك، وتقويم مسارك، حيزًا كبيرًا في حياتك، فإن لكل منا نفسًا واحدة وأنفاسنا معدودة؛ فانشغل بإصلاحها وتهذيبها؛ فليس لديك سواها، حتى تلقى الله بنفس راضية مرضية وهو راض عنها، فيقال لها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. سورة الفجر(٢٧: ٣٠).

وهناك من ظن أن رعاية الذات والاهتمام بها يستوجب عدم الاكتراث لسواها، فقد لا يحسب حسابا لمشاعر الناس، ولا يبدي الاهتمام بأمورهم مهما كانت درجة القرابة، بل إن هناك من الآباء والأمهات من فهم خطأ، أن الاهتمام بالذات يستلزم التنازل عن الاستقرار الأسري، فينفرط بذلك العقد الفريد، ويُفَرَّط في البيت السعيد!

رعاية الذات

إن المفهوم الصحيح لرعاية الذات، هو أن تسعى لإعطاء كل ذي حق حقه، على ألّا تقصِّر في حق الله -تعالى-؛ لتكتمل أركان السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة؛ فتكون ممن قال فيهم رب العزة: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وهناك حديث مشهور قد يستدل به بعض الناس خطأً على اقترافهم بعض

اختيارك للانقياد للواحد الأحد حماية لقلبك من الانكسار، ولذاتك من الانهيار، فأنت تتقوى بمعية الله -تعالى-

المحرمات، وخلطهم الطاعات بالمعاصي، وذلك لفهمهم الخطأ لمدلول قول النبي -ﷺ-: «ساعة وساعة»، حينما قدم إليه صاحبه حنظلة الأسيدي مع أبي بكر -رضي الله عنهما- يشكوان حالهما في العبادة؛ حيث قال حنظلة: «نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنها رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله -ﷺ-: والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر، لصافحتكم الملائكة على فُرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات»، فليس المقصود من «ساعة وساعة» كما يظن بعض الناس أن ينوع الإنسان في حياته بين عمل الطاعات وإتيان المنكرات، أو بين القيام بالعبادات واقتراف المحرمات؛ فالنبي -ﷺ- لم يقل: ساعة لربك ودينك، وساعة لهواك وقلبك، أو ساعة للطاعة والعبادات وساعة للمعصية والانفلات! بل ويستدل بعضهم على ذلك خطأً بالحديث: «إن لنفسك عليك حقًّا».

إعطاء النفس حقها

إن في هذين الحديثين إشارة إلى ضرورة إعطاء النفس حقها من الراحة والاستجمام، بالتمتع بالمباحات أثناء ممارسة المسؤوليات في الأسرة والعمل، فلا تكون الحياة كلها أعمالا تعبدية؛ فتتوقف بذلك المصالح الدنيوية؛ حيث لا رهبانيةً في الإسلام، ومن جميل ما قرأت في ذلك: «فالقلوبَ تَمَلُّ كما تَملُّ الأبدان، فبعدَ تعب وجهد وعناء، تَميل النُّفوس إلى التَّجديد والتَّنويع، وترنو إلى التَّرويح واللَّهو المُباح؛ دفعًا للكآبة، ورفعًا للسَّآمة؛ ليعود الطَّالب بعدَها إلى مقاعد الدِّراسة بهمَّة وقَّادة، ويرجعَ الموظَّف إلى عمله بعزيمة وثَّابة، ذلك أنَّ القلوبَ إذا سئِمَتْ عميَت».

مساعدة الأبناء على التحكم في مشاعر الغضب..!

كتبت: سحر شعير
كاتبة وباحثة في شؤون الدعوة والتربية

كثيراً ما يشتكي الآباء والأمهات من عدم تحكم أطفالهم الصغار في مواقف الغضب والانفعال، فتزداد حدة التعبير عن الغضب لديهم بالصراخ المتواصل أو الارتماء على الأرض، أو محاولة التخريب والتكسير، وبين الإفراط والتفريط تتراوح ردود الأفعال من الوالدين، فما الضوابط الصحيحة لفهم مشاعر الغضب عند الصغار وكيفية التعامل الصحيح معها؟

لا يمكن إلغاء مشاعر الغضب..!

من الحقائق الثابتة تربوياً أنّ مشاعر الغضب لا يمكن قمعها بالكلية حتى لا يبقى لها أثر، وهو أمر يعاكس ماركبه الله -تعالى- في النفوس من الطبيعة الغضبية اللازمة للإنسان حتى يدافع عن نفسه وعرضه وماله ودينه، وإنما الممدوح هو تحكم الإنسان في هذه المشاعر، وتربية الأبناء بحيث نرفع من قدرتهم على التحكم في انفعالاتهم في المواقف المختلفة، فيعمل المربي على أن يتحكم هو أولا في نفسه ليكون قدوة يأخذ عنه أبناؤه، ثم يدربهم بالتدريج على تطبيق هذا الخلق، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رجلا قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: «أوصني»، قال: «لا تغضب»، فردّد، قال: «لا تغضب» (رواه البخاري).

مراعاة الفروق الفردية

مراعاة الفروق الفردية في طبائع الأبناء وانفعالاتهم: على المربي أن يعرف أن الجبلات والطبائع مختلفة والمتنوعة وهو ما يعرف بـ(الفروق الفردية)، منها ما هو سريع الاستجابة والقبول، ومنها ما هو بطيء، فيلاحظ ذلك في أبنائه، ويصبر عليهم، ويعلم أن لهم - على صغر سنهم - مشاعر كاملة، وصدور الغضب منهم قد لا يذم في المواقف كلها، وإنما ما جرّ إلى سوء الأدب أو إيذاء النفس أو العدوان على الآخرين، ويلاحظ أن هناك درجة لا يمكن أن يتعداها الإنسان في بلوغ مراتب الأخلاق والصفات الحسنة؛ فإن الأخلاق مقسمة بين الناس كالأرزاق، وهم فيها درجاتٌ متفاوتة؛ فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم» (رواه أحمد) وصححه الألباني.

أسباب الغضب

ترجع أسباب الغضب عند الأطفال إلى:

- الغيرة من الزملاء والإخوة.
- الفشل في الدراسة والتحصيل.
- القسوة المفرطة من الوالدين في التربية.
- إشعار الطفل بالحب بطريقة مبالغ فيها.
- التدليل المفرط الذي يسوق الطفل إلى تحقيق رغباته كلها دون ممانعة.
- تقليد الطفل لأمه أو أبيه إذا كان كثير الغضب والانفعال أمام الولد.
- إصابة الطفل بعاهة من العاهات الجسدية.

خطوات عملية

وإليكم هذه الخطوات العملية لتدريب الأبناء على ضبط انفعال الغضب:

التعبير عن المشاعر

يجب أن نعلمه كيف يتحدث عن مشاعره السلبية: فلو لم يعجبه شيء لا يصرخ أو يغضب، أو ينسحب من المكان، أو يأكل أظافره، أو يمزق ثيابه أو غيرها من التصرفات السلبية، وإنما نعلمه وندربه على التعبير بالكلام، فنقول له: «تكلم وعبر عما في نفسك!».

المدح

نمدحه عندما يعبر عن مشاعره السلبية والغاضبة بطريقة صحيحة، من خلال الكلام والحوار، مع تشجيعه على هذه التعبيرات بدلاً من السكوت أو الغضب.

احذر من السخرية

علينا أن نتجنب سلوك السخرية من الطفل أو توجيه الانتقاد الجارح له، أو جعله مادة لسخرية الآخرين؛ فإن هذه الطريقة تفسد أكثر مما تصلح، بينما الاقتراب من الطفل وتوجيه النظر الحاد إلى عينيه، مع التعبير عن الاستياء من سلوكه الغاضب، من الممكن أن يكون أكثر



على المربي أن يعرف أن الجبلات والطبائع مختلفة ومتنوعة وهو ما يعرف بـ(الفروق الفردية)، منها ما هو سريع الاستجابة والقبول، ومنها ما هو بطيء

زجراً له دون أن نجرح مشاعره.

إهمال الغضب

لو غضب الطفل وصرخ ففي هذه الحالة ينبغي ألا نجعل من غضبه سببا لاهتمامنا أو لتنفيذ طلباته على الفور؛ لأن هذا سيعزز سلوك الغضب عنده، وإنما نهمله تماماً إلى أن يهدأ، ثم نناقش معه الأمر بهدوء.

الحزم

لو استمر في نوبات الغضب والعصبية لابد أن نعامله بحزم مع المحافظة على هدوئنا ونحن نتحدث معه.

لا تعاقبه على غضبه

في حال لو استمر غاضبا فلا نعاقبه؛ لأنه غضب وخالف أمرنا، وإنما نكرر عليه التوجيه مرة أخرى بعد إعطائه فرصة للتعبير عن غضبه، ونشرح له كيف يعبر عن مشاعره بأساليب كثيرة، ومنها الحوار والكلام، ونساعده على ذلك وشرح ما في نفسه من أفكار ومشاعر مع ترديد عبارات الحب له.

لعبة الحلم

نحاول أن نلعب مع أبنائنا (لعبة الحلم)، ونشرح لهم ما معنى الإنسان الحليم؟ وهو عكس الغضوب، واللعبة هي أننا نعطي نجمة لكل طفل كان حليما في مواقف تستحق الغضب، ونعطي نجمتين لكل طفل كان في حالة غضب ولكنه عبر عن مشاعر الغضب بالكلام ولم يصمت أو ينسحب، وهكذا من خلال اللعبة نربيهم على كيفية التعبير الصحيح عن المشاعر الغاضبة بدل العصبية والغضب.

مفهوم: من يملك نفسه

نؤكد لهم على مفهوم أن من يملك نفسه هو الملك؛ «فليس الشديد بالصرعة» كما علمنا نبينا الكريم -ﷺ-، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي الكريم -ﷺ- قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد هو من يملك نفسه عند الغضب» (رواه البخاري في كتاب الأدب)، ونعلمهم كيف يضبطون غضبهم بالاستعاذة بالله من الشيطان والوضوء وتغيير الجلسة أو المكان.

لا تذكره بغضبه

بعد أن ينتهي غضب الطفل لا تتحدث عنه ولا تذكّر الطفل به، واحذر أن تحمل ضغينة في نفسك تجاه طفلك؛ فإن ذلك يؤدي إلى زيادة نوبات غضبه، ويجعلها أكثر حدة في المستقبل، نتيجة لتوتر العلاقة بينكما، بل احمله واحتضنه وربت عليه بحنان، وأخبره أنك مازلت تحبه ولكن تريد منه أن يتصرف بطريقة أفضل من ذلك.

تدريب عملي خفيف الظل

وهناك أساليب لطيفة وخفيفة الظل في تدريب الأبناء عملياً على التحكم في مشاعر الغضب، مثل أن يحضر الأب المرآة لابنته كلما غضبت ويقول لها: انظري إلى نفسك بالمرآة، فتضحك وقتها ويزول الغضب عنها، أو أن تقول الأم لولدها: كلما غضبْتَ ضع خطا بالورقة المعلقة على الجدار وإذا صرت حليما امسح خطا وسينجح الابن مع الوقت في مسح الخطوط، وهناك طريقة ثالثة للأبناء الأكبر سناً، يقترح فيها الأب على ولده المراهق أن يعبر عما في نفسه بالكتابة على الورق وقد نجحت هذه الطريقة مع الكثير من الكبار أيضاً، وهكذا..

ومع كل ما ذكرنا علينا أن نعلم أبناءنا متى يغضبون في الوقت الصحيح، وفي المكان الصحيح، ومع الشخص الصحيح، ولو وصلوا لهذا المستوى فإن هذا ما نسميه (بالذكاء العاطفي) وهو مهم جدا للحفاظ على صحتهم النفسية.

وأخيراً عزيزي المربي

إنّ علينا أن نتفهم مشاعر أبنائنا تفهما جيدا، لنعرف كيف نتفاعل تفاعلا صحيحا وبنّاء مع هذه المشاعر وتلك الانفعالات، وكذلك لنبادر بتهذيب الانفعالات الجامحة لديهم مثل الغضب - وندربهم مبكراً على التحكم الجيد في انفعالاتهم؛ فهذه القدرة من أهم مؤهلات الشخصية القوية التي نرجوها جميعا لأبنائنا وبناتنا.

استشارة: هل هناك غضب مذموم ننهى عنه أطفالنا وآخر محمود لا ننهاهم عنه؟

الجواب: نعم، إن انفعال الغضب كغيره من الانفعالات لا يذم كله، ولا يحمد كله، فلو أعيق الغضب بالكلية ما استطاع الإنسان أن يدافع عن نفسه، ولا عن شرفه، ولا عن ماله؛ فهو في بعض الأحيان يكون محموداً ولاسيما عند انتهاك حرمات الله، وظهور المعاصي والمنكرات أو تعرض المرء لما يمس كرامته بغير وجه حق؛ فإنه يكون محموداً في هذه المواطن.

أما الغضب المذموم فهو الذي يكون لغير الله، أي لحظ النفس والهوى، وهذا النوع هو الذي جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالنهي عنه، والأمر بكظمه وعدم إظهاره، قال الله -تعالى-: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤).

وهذه القاعدة تنطبق على الطفل بما يناسبه؛ فمهمة الوالدين هي توجيهه لما يحمد من الانفعال الغاضب الذي يجعله يتعلم كيف يدافع عن نفسه، ولا يسمح لأحد بالعدوان عليه أو إيذائه، وكذلك يتعلم كيف يغضب لله -عزّ وجلّ-، ويوجّه كذلك إلى كفّ الغضب في كبح رغباته المتوالية، وإلحاحه، وكذلك في المواقف التي يتفاعل فيها مع رفاق اللعب فيلزمه فيها ضبط النفس والانفعالات.





فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حق الرحم والقرابة

■ من هم الأرحام، وما حكم من يقطع رحمه؟

● ذووا الأرحام هم: كل من تربطه بك رابطة نسب، كالأبوين، والجد، والجدة وإن عليا، وكالولد، وولد الولد، ذكرًا كان أو أنثى، وإن نزلا، وكالإخوة، والأخوات، وأولادهم، وكالأعمام، والعمات وأولادهم، وقطيعة أحد منهم بغير موجب شرعي كبيرة من كبائر الذنوب؛ لقوله -تعالى-: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم». رواه مسلم في صحيحه.

النفقة على الزوجة

■ هل يجوز إعطاء الزوجة نقودًا كلما طلبت مني، أم في بعض الحالات، وما هذه الحالات؟

● نفقة الزوجة، وكسوتها، وسكناها، واجب على الزوج، وحسن العشرة، وفعل المعروف بين الزوجين مطلوب شرعًا؛ لقوله -تعالى-: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} الآية، وقوله -تعالى-: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ}، وقوله -تعالى-: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، وقول النبي ﷺ: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

حق الجار

■ لي جار مشرك، ما حكم الاتصال به؟

● إن كان اتصالك بهذا الجار المشرك لدعوته إلى الله، وعرض الإسلام عليه لعل الله أن يهديه، فلا شيء في ذلك، ولك أن تعامله بالمعروف، وتحسن إليه إن طمعت في هدايته، قال -تعالى-: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، وإن كان الاتصال اتصال محبة ومودة فلا تجوز؛ لقوله -تعالى-: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} الآية .

هل تحسب الضرائب من الزكاة؟

■ ما رأي اللجنة في إنسان بعدما أخرج الزكاة، هل يجوز أن يدفع منها الضرائب، هل تصح أم لا؟

● لا يجوز أن تحتسب الضرائب التي يدفعها أصحاب الأموال على أموالهم من زكاة ما تجب فيه الزكاة منها، بل يجب أن يخرج الزكاة المفروضة ويصرفها في مصارفها الشرعية، التي نص عليها -سبحانه وتعالى- بقوله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} الآية.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

■ كيف كانت حياة النبي ﷺ في بيته، وكيف كانت أخلاقه؟

● كان خلقه القرآن، كما وصفته عائشة -رضي الله عنها- واستدلت على ذلك بقوله -تعالى-: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وكان سمحًا مع أهله حسن العشرة معهم، يقوم بواجبهم في بيته حتى ينادى بالصلاة، وننصحك بقراءة القرآن، وكتب الحديث والسيرة لتزداد معرفة به، ولا تجعل همك كثرة الأسئلة فيما يمكنك معرفته بنفسك.

النصيحة لعامة المسلمين

■ ما حكم من يعمل لديه مدمن خمر وتارك صلاة؟

● الواجب على صاحب العمل مناصحة من تحت يده من عماله لفعل الواجب وترك المحرمات؛ فإن استجابوا لذلك؛ فهذا هو المطلوب، وإلا فالواجب على صاحب العمل الاستعانة بغيرهم في العمل؛ لعل ذلك يكون رادعًا لهم عن أفعالهم المحرمة؛ فيقلعوا عنها ويتوبوا إلى الله -سبحانه.

حرمة المسلم في نفسه وعرضه وماله

■ حدث من بعض المقيمين مظاهرة، فقبض عليهم، وتم هدم محلاتهم، وانتشر شيء من عفشهم وأمتعتهم، وصار الناس يتخطفون من تلك الأمتعة وذلك العفش، فهل على من أخذ من ذلك شيئًا إثم؟ وهل يحرم ذلك؟

● الأصل أن المسلم معصوم الدم والمال والعرض، لا يجوز لأحد أن يتعدى عليه في شيء من ذلك بغير حق؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام- في حجة الوداع وهو يخطب: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»، وقوله في المال: مسند أحمد بن حنبل (١١٣/٥). «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه»، وقوله: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»، والحالة التي ذكرتها من تظاهر بعض الناس، وهدم المسؤولين لمحلاتهم، لا تبيح للناس أخذ شيء من أمتعتهم، ومن أخذ شيئًا يعد ظالمًا، متعديًا عاصيًا، بأخذه لذلك المتاع، يجب عليه المبادرة بالتوبة والاستغفار، ورد ما أخذ إلى صاحب البيت الذي انتثر منه ذلك المتاع؛ لقوله ﷺ: من كانت عنده لأخيه مظلمة فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم؛ فمان كان له عمل صاع أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه. وفي حالة تعذر الرد بعد البحث والعناية والسؤال يتصدق به أو بقيمته عنه، فإن عرفه بعد أخبره بالواقع، فإن رضي فذاك وإن لم يرض غرمه له.

علاج الرياء

■ كيف يمكن التخلص من الرياء والسمعة؟ وما الأدعية الواردة في ذلك؟ وكيف يمكن معرفة أن هذا العمل يقصد به الرياء؟

● جاهد نفسك في الإخلاص لله -تعالى-، والبعد عن الرياء واستعن بالله في هذا، واحرص على التعرف على الرياء وأنواعه والحذر منها، وتأمل في عاقبة الرياء في الدنيا والآخرة؛ فإن من تأمل ذلك كره إليه الرياء؛ لأن رياءه لن يجلب له نفع الناس، ولن يدفع عنه ضررهم، بل يجلب عليه سخط الله -تعالى- وغضبه ومقته، فيخسر بذلك الدنيا والآخرة، وفي (الصحيحين) أن النبي - ﷺ - قال: من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به . ومما يعين على الخلاص من هذا الداء: سؤال الله -تعالى- العافية، والتعوذ منه، والتذكر أنه من أعمال المنافقين المذكورة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا﴾، وقد ورد أن النبي - ﷺ - خاطب أصحابه قائلاً: «أيها الناس اتقوا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل قالوا: وكيف نتقيه يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه» رواه أحمد والطبراني عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - .

وسائل الإقلاع عن المعصية

■ حديث رسول الله ﷺ: «من كان له مظلمة عند أخيه من مال أو عرض فليتحللها اليوم»؛ فما المقصود بمظلمة العرض؟

● المظلمة في العرض تشمل: الغيبة، والنميمة، والقدح في المسلم بغير حق؛ لقوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»، وقوله ﷺ: «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»، فإذا لم يسامح المظلوم في الدنيا؛ فإنه يقتص له يوم القيامة من حسنات الظالم؛ فإذا لم يستطع استسماح أخيه عما حصل من الغيبة والنميمة؛ فإنه يذكره بالصفات الطيبة التي يعلمها منه في المجالس التي كان يغتابه فيها، مع التوبة إلى الله التوبة النصوح، وبذلك يرجى له من الله العفو.

عدم هجر المسلم فوق ثلاثة أيام

■ إذا تشاجرت المرأة مع زوجها وتهاجرا أكثر من ثلاثة أيام، فهل عليهما في ذلك شيء؟

● لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، إلا لموجب شرعي، لما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك، وعليهما أن يتراجعا عن الهجر، وخيرهما من بدأ الآخر بالوصال.

أوراق صحفية

يوسف .. مشاعر وهمة عالية

بقلم: سالم الناشي

رئيس تحرير مجلة الفرقان

لندن ٢٠١٨/١١/٣٠

● معرفتي بصديقي وأخي الغالي يوسف الجريوي – رحمه الله – تمتد عبر ٤٠ عاما؛ ففي منتصف السبعينيات كنا ندرس في الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما ذهبت إلى أمريكا للدراسة عام ١٩٧٣ لم أكن أعرف أحدا هناك، ولكن بعض الإخوة أصحاب الهمة العالية في الدعوة إلى الله كانوا يبحثون عن الشباب ليثبتوهم على الحق، ويربطوهم بالمهمة الأساسية فيها وهي الدراسة، ويهونوا عليهم الغربة الصعبة، من هؤلاء كان الأخ يوسف الجريوي الذي كان يدرس في ولاية أخرى بعيدة ، وقد سمعت عنه وعن نشاطه الدعوي ولكن لم أره لبعد المسافة بيننا ؛ حيث كنت في ولاية نيويورك، ولكن مع هذا تفاجأت يوما أن أرسل لي كتابا في الدعوة إلى الله ، لازلت أحتفظ به إلى اليوم، هذا هو يوسف الذي يفاجئك دائما بشيء جديد ومفيد؛ ولذا نشأت بيننا علاقة قوية وارتباط أخوي ملؤه الإخلاص والمودة والمحبة.

● تخرجنا في مجال الهندسة ، ورجعنا إلى الكويت، وأخذ كل منا يبحث عن عمل، إلا أن يوسف لم تسكن له همة؛ فسعى إلى تجميع الإخوة الذين درسوا في أمريكا في ديوانية وهكذا كان! وظلت هذه الديوانية مستمرة إلى الآن، وإلى عهد قريب كان يوسف يراسلني عبر الهاتف يذكرني بموعد الديوانية، وعندما ألتقيه يعاتبني بذكاء؛ فيقول: نريد أن نسمع صوتك وآراءك حول ما يدور على الساحة ؛ فلا تنس الديوانية! والأخ يوسف دائما يشعرك أن الجهد المبذول ليس جهده بل جهد الآخرين، هو فقط يشجع وينصح بلطف، ويجيب عن الأسئلة إن تعذرت على الآخرين؛ فلم تكن ديوانية عادية بل ديوانية علم شرعي وثقافة عامة وصلة بالمجتمع.

● كان يتعمد يوسف أن يخرج من الديوانية معي فإذا خرجنا كنا نقف طويلا نتجاذب أطراف الحديث حول الدعوة والعمل الإسلامي، وكنت أستمتع بآرائه وحكمته وذكائه في فهم الأمور، والتأني في العمل والتدرج في إيصال الحق والصبر لتحقيق أفضل النتائج.

● ويوسف متابع جيد لكل ما يهم الدعوة إلى الله؛ فيأتيني أحيانا بقصاصات من الصحف ويقول هل رأيت هذا؟ فأقول: لا ؛ فأجد أمورا تحتاج إلى ردود عليها لمخالفتها الشرعية.

● كان ـ رحمه الله ـ يحب التنظيم الإداري والدقة في إتقان العمل، والحرص على الإنتاج ، وربما اكتسب هذا من تخصصه في مجال هندسة الكمبيوتر وعمله في إحدى الشركات الوطنية؛ لذا وظف هذه الخبرة في الدعوة والعمل الإسلامي.

● في مسجد عبدالمحسن البابطين بقرطبة وفي فترات الاستراحة أثناء صلاة القيام خلف الشيخ عبدالملك الشافعي ـ رحمه الله ـ رأيت يوسف جالسا في حوش المسجد ؛ فجلست معه ، ثم قال لي: هل تعلم من أتى بهذه الثلاجة الكبيرة التي ملأها صاحبها مياه صحة ؟ قلت: لا أعلم، قال: ولا أنا ، ولكن ماذا لو دعونا له؟ فدعونا له . هذا هو يوسف ـ رحمه الله ـ دائما يرتقي بك إلى مستوى أعلى في علاقتك مع الله وحبك للآخرين.

● عندما علم أني في رحلة علاج اتصل بي متأثرا جدا ، ودعا لي ورجا لي عودة سريعة للبلد، غير أني أحسست بيوسف آخر في صوته وإحساسه المرهف.

● وعندما علمت أن يوسف في العناية المركزة، وأنا هنا في لندن للعلاج حزنت حزنا كبيرا ؛ فدعوت له ، وكنت أسأل الإخوة عنه، ولكن ما أن وصلتني رسالة بوفاته حتى أصابني الألم والحزن والكدر العميق ؛ فبكيت أخي وصديقي العزيز، رحم الله أبا سعد ـ رجل الدعوة، والطيبة والأخلاق والوفاء.